

دراسة

هل المصاحف الأثرية التي مصاحف بالبحرين تعود إلى سألت الفتاة أبا الأسود: ما أجملُ السّماء؟ فنشأ علم النحو العربيّ

بقلم:
الدكتور عبد اللطيف كانو

في كتابة المصحف الشريف

عثر عليها هي مصاحف الخليفة عثمان ؟

القرن الأول الهجري

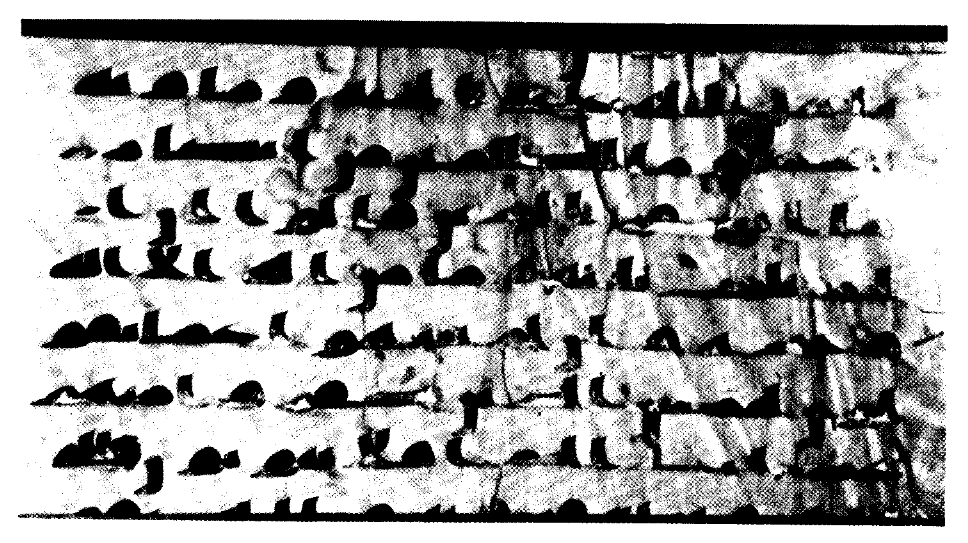
سألت ابنة ابى الاسود الدؤلى اباهـا عن أجمل مـا فى السماء فابتكر العالم الكبير اسس الاعراب وحما القرآن الكريم من اللحن والتحريف . وقد تتـابعت بعد ابى الاسـود جهود حفـظ القرآن وتحولت كتابته وزخرفته وتجليده الى فنون عكست عبقرية وابداع الفنان المسلم . وبقيت عبر القرون مصاحف تحكى قصـة فن من اروع الفنون .. كيف تحول المصحف الشريف من كتابة بسيطة على الرقـاع الى نماذج فنيـة فريـدة ؟ كيف اصبحت الحروف المهملة حروفا مكتملة تنقيطا وشكلا تلك قصة نعرضها فى هذه السطور .

القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم الذي جمع فشمل ، فسر ، وفصل ، فند وأكد ، فهو كلام الله المنزل ، وهو تقوى الدنيا وزاد الآخرة لم يغادر صغيره ولا كبيرة الا احصاها ، قرآن عربي غير ذي عوج ، احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، هذا الكتاب العظيم الذي « بالحق نزل » هدى ورحمة للعالمين ، هو دستور المسلمين وقانون السماء ، انقذ البشرية والانسانية من الضلالة والظلمة والكفر والضياع ، وقوم النفس بالاخلاق الكريمة ، وبالروح العالية ، وعلم الانسان مالم يعلم ، فهو هدى ورحمة للعالمين ، وهو امام وقرآن مبين ، يهدي الى الرشد « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (فصلت آية ٤٢) .

لقد انزل هذا القرآن الكريم على النبي الامي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في غار حراء في ليلة القدر المباركة في السنة الحادية والاربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم (610)ـ وقد كان اول ما انزل من القرآن الكريم قوله تعالي « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » (سورة العلق) واخر ما انزل هو « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (سورة المائدة) وقد كان ذلك في منى في حجة الوداع في التاسع من ذي الحجة السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة (632 م) ولهذا فقد كانت فترة نزول الوحي من بدء التنزيل الى منتهاه هي 22 سنة .

النزول المنجم

لقد نزل القرآن الكريم منجما أي مفرقا على دفعات متتالية من الآيات المجيدة ، وكانت الآيات تنزل تباعا على النبي صلى الله عليه وسلم خمس آيات وعشر آيات واكثر من ذلك او اقل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل كتاب الوحي مع كتابة الآيات الكريمات بوضعها في موضعها الصحيح من سور القرآن ، والقرآن الكريم يتكون من (6236)آية كريمة نظمت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مواضعها الصحيحه من القرآن لتكون ثلاثين جزءا و (114) سورة منها (86)سورة مكية



جزء من مخطوط قرآني نادر من القرن الاول الهجرى كتب على الرق بالخط الكوفي البدائي المبسط بدون اى نوع من الاعجام من اصل صفحة كبيرة المقاس استعمل المداد الاسود بدون اى نوع من التلوين او الزخرفة الجمالية .

النص القرآني للمخطوط حسب الاسطر (سورة المائدة))73—74

حرم الله عليه الجنة وماواه ـ جهنم وما للظالمين من انصار ـ لقد كفر الذين قالوا ان الله ـ ثالث ثلاثة وما من اله الا اله ـ واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ـ ليمسن الذين كفروا منهم عذاب ـ اليم .

مجموع آياتها (4613) آية مكية وتؤلف هذه الايات المكية اكثر من ثلثي القرآن الكـريم ، وامـا الآيـات المـدنيـة فهي (1623) ايـة احتوتهـا (28)سورة مدنية ، وبهذا فان معظم آيات القـرآن الكريم قد انـزلت في مكة المكـرمة قبـل الهجرة ، كما يلاحظ ان السـور الطوال مثل البقرة وآل عمران والنساء هي سور مدنية وكذلك فان معـظم الآيات الطوال هي آيات مدنية ايضا ، والواقع ان اطول آية في القرآن الكريم هي الاية (281) من سورة البقرة وهي مدنية وتتألف من (125) كلمة وهي آية « التداين » التى تبدأ بـ « يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه .. » كما ان اطول سورة في القرآن هي سورة البقرة المدنية وتتكون من (286) آية . واصغر سـور القرآن ثـلاث سور اثنتـان منها مكيتان هما سورة العصر وسورة الكوثر والثالثة مدنية وهى سورة النصر وجميع هذه السور مكونة من ثلاث آيات .

كتاب الوحـــي

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام أميا لا يعرف القراءة والكتابة وقد اتخذ له كتابا معروفين يكتبون ما انزل عليه من الوحي منهم الخلفاء الاربعة والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص ويزيد بن ابي سفيان ومعاوية بن ابي سفيان

وابي بن كعب وعامر بن فهيره وزيد بن ثابت وعمرو بن العاص وحنطه بن الربيع وآخرين قيل ان عددهم اثنان واربعون .

ولقد كان زيد بن ثابت والخليفة علي بن ابي طالب ومعاوية ملازمين للنبي واكثرهم كتابة له .

القرآن في عهد الرسول

لقد كان الخط المستعمل في كتابة القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخط المدني والخط المكي وقد كان الخط المدني اكثر اتقانا من الخط المكي لكثرة كتابه وكثرة الكتابة به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو كتاب الوحي لكتابة ما انزل عليه من آيات الذكر الحكيم ويدلهم على موضعها من سور القرآن وكان ما يكتب من القرآن يوضع في بيت الرسول وينسخ الكتاب لانفسهم نسخة مما انزل ، كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلوعلى المسلمين ما انزل عليه فيحفظونه عن ظهر قلب ، وبهذا فان القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد حوفظ عليه ليكون سليما ودقيقا كما جاء به الوحي وذلك عن طريق العودة الى النبى صلى الله عليه وسلم للتأكد والتصحيح ومن خلال حفاظ القرآن والصحف الموجودة في بيت النبي وصحف كتاب الوحي .

والقرآن الكريم كان مسجلا ومكتوبا بالكامل على حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفس الوقت كان مسجلا في قلوب الصحابة وكان مسموعا يقرأ في الصلاة ويسمع من النبي صلى الله عليه وسلم في كل وقت وحين ، حفظه الصحابة وسجلوه في الصدور ، الا ان القرآن لم يجمع على حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف موحد متكامل حسبما هو عليه الان وانما اكملت الايات والسور وبقى محفوظا في القلوب ومسجلا على ادوات الكتابة المعروفة انذاك كالعشب (جريد النخل) ، واللحاف (الحجارة الرقيقه) وعظام الاكتاف والاضلاع والرقاع وقطع الاديم .

مراحل تدوين القرآن الكريم

لقد دون القرآن الكريم خلال ثلاث مراحل مختلفة كانت المرحلة الاولى في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم خلال فترة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت الثانية خلال خلافة امير المؤمنين ابى بكر الصديق رضى الله عنه اما المرحلة الثالثة والاخيرة فقد كانت في عهد امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

لقد كانت عملية تدوين القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عملية مستمرة منذ النزول في غار حراء وكان القرآن ينزل منجما على النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الوحي جبريل الامين وكان النبي يجمع نفرا من الصحابة لكتابة وتدوين ما انزل عليه من الايات البينات ثم يدل كتاب الوحي بوضعها في موضعها الصحيح من سور القرآن ، وهكذا كانت تتم عملية التدوين الاول للقرآن الكريم .

اما التدوين الثاني فقد كـان في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضى الله عنه بعد مشورة تلقاها من عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موقعة اليمـامة سنـة (12)هجرية حيث استشهد فيها كثـير من الصحابة حفظة القرآن ، وقد عهد ابو بكر الصديق بهذه المهمة الى الصحابي الجليل زيد بن ثـابت وهي مهمة جمـع القـرآن وتدوينـه في صحف متنـاسقـة متعددة متكاملة في مقاس واحد وبطريقة متماثلة على الرق وفي تسلسـل متتابـع للآيات القرآنية كما وضعت في موضعها الصحيح على حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تم الجمع الثـانى للقرآن الكريم واودع في بيت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ثم انتقل الى بيت الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعد وفاته حفـظ في بيت حفصه بنت عمـر زوجـة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هل كتب عثمان المصحف ؟

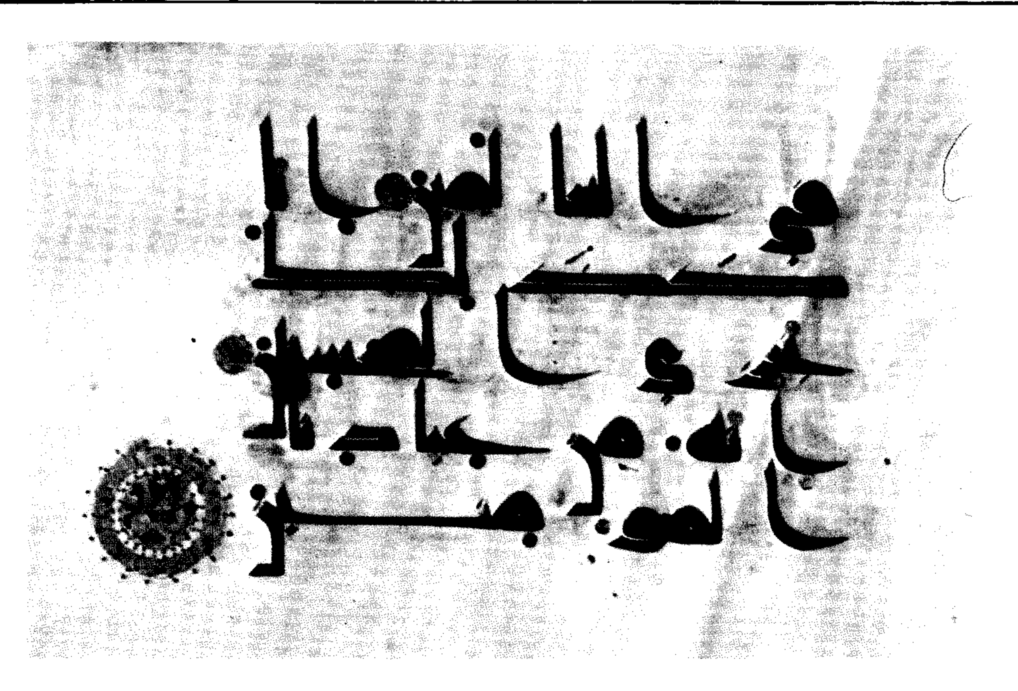
لقد تم التدوين الثالث للقرآن في عهد الخليفـة عثمان بن عفـان رضي الله عنه وكـان حريصـا على جمـع كتـاب الله في مصحف يجمع شمل الامـة الاسلاميـة وتجمع على قراءته الامة ، ولوضع هـذا الهـدف السامى مـوضع التنفيـذ عهد بالاضافة الى زيد بن ثابت ، كاتب الوحي وجـامـع الصحف للخليفـة ابي بكـر الصـديق الى ثلاثـة اخـرين من كتـاب الوحي هم عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن الحـارث بن هشام وجميعهم قرشيون للقيام بجمع القـرآن مستعينـين في ذلك بصحف ابـى بكـر الصديق التى احتفظت بها ام المؤمنـين حفصـة بنت عمـر بن الخـطاب الذي استعـارها الخليفـة عثمان منهـا لهـذا الغرض السامى .

وقد اختار عثمان بن عفان رضى الله عنـه زيد بن ثـابت لانه كـان من كتاب الوحي وكان قد شهـد القراءة الاخيـرة وكتبهـا وقرأهـا على النبى سنـة وفاتـه وعرف ترتيب الآيات والسور في القـرآن وكتب الصحف للخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

وقد ذكر السجستاني ان عثمان قال :
اي الناس افصح ؟
قالوا : سعيد بن العاص
ثم قال : اي الناس اكتب
قالوا : زيد بن ثابت
قال : فليكتب زيد ، وليمل سعيد

وقيـل ايضا ان سعيـد بن العـاص افصح الناس واشبههم بلهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد كانت تـوصيات الخليفـة عثمان للكتاب الاربعة واضحة ودقيقة ومركزة ، وبهذا الوضوح التام والرؤية السليمـة قام هؤلاء الصحابة بمهمتهم خير قيام ، فلما اتموا ، نسخـوا من المصحف عدة نسـخ مطابقـة بعضها لبعض وتم هـذا الجمع الثالث للقرآن الكريم سنة (25) هجرية . وقد كان الخليفة عثمان بن عفان في اثناء الكتابة يراجـع ما يكتب حـرفا حرفا وكلمة كلمة ويصلح ما فاتهم ، وبعد الانتهاء من نسخ المصاحف أمر الخليفة



مخطوط قرآني معجم كتب على الرق في المدينة المنورة بالخط الكوفي المجود وادخلت عليه التحلية الذهبية في مواقف الآيات يرجع تاريخه الى القرن الثاني الهجرى جمع التحديث الاول الذى ادخله ابو الاسود الدؤلي وهو تنقيط الاعراب النحوي (النقاط الحمراء) والتحديث الثاني الذى ادخل في ايام الحجاج بن يوسف الثقفي ويعتبر هذا المخطوط نادرا لانه استعمل الخطوط المائلة بدلا من النقاط لفك اعجام الحروف الهجائية لاحظ كلمة « نجزى » (في بداية السطر الثالث) كما وردت في المقال .

النص القرآني للمخطوط حسب الاسطر (سورة الصافات 79—81)

في العالمين . انا ○ كذلك ○ نجزى المحسنين ○ انه من عبادنا ○ المؤمنين ○

يعتقد العديد من الناس خطأ ان الخليفة عثمان بن عفان كتب المصاحف التى ارسلت الى الامصار والواقع المؤكد ان الخليفة عثمان بن عفان لم يكتب هذه المصاحف بخطه ، مع انه رضى الله عنه يعرف القراءة والكتابة وكان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وانما امر باعداد هذه المصاحف واشرف اشرافا مباشرا على كتابتها وكان يراجعها ويدقق في كل ما جاء بها حرفا حرفا ويصلح ما فاتها ، اما المصاحف

عثمان باجماع الأمة على ان تحرق جميع المخطوطات والمصاحف التى كانت لدى الصحابة ، ولم يبق الا على الصحف التي اعادها الى زوجة النبي حفصة رضى الله عنها .

وقد اتخذ الخليفة عثمان بن عفان هذا الموقف الشجاع الحازم القاطع بموافقة الامة والصحابة ، والتأكد من دقة وصحة المصحف المكتوب ، وفي نفس الوقت انهى بهذا العمل الرجوع والعودة الى اي خلاف او اختلاف .

التى ارسلت الى الامصار فقد كانت بخط الصحابي الجليل زيد بن ثابت الذي عرف عنه الخط الحسن والواضح من بين كتاب الوحي كما انه كان الكاتب المرافق والملازم للنبي صلى الله عليه وسلم وكاتب بعض رسائله النبوية الشريفة . اما نسبة المصاحف الى الخليفة عثمان بن عفان فترجع الى امره وزمانه وامارته .

كيف كانت مصاحف عثمان

لقد كتبت المصاحف التى ارسلت الى الامصار بالخط المدني المتطور والذي يعتبر في ذلك الوقت اعلى درجة في الجودة والكمال اذا ما قورن بالخط المكي المعروف في تلك الحقبة التاريخية ، والواقع ان الخط المدني قد استعمل كذلك في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم التى ارسلت الى الملوك والامراء والاباطرة في بداية الدعوة الاسلامية في القرن السابع الهجرى والذي لا يزال بعضها موجودا في المتاحف ومن ضمنها الرسالة التى ارسلت الى المنذر بن ساوي امير البحرين يدعوه فيها للدخول في الاسلام ولمعرفة خط هذه المصاحف يمكن الرجوع الى رسالة المنذر التى ارسلت الى البحرين لاخذ فكرة اولية عن نوعية الخط العربي الذي استعمل في كتابة هذه المصاحف التاريخية التى ارسلت الى الامصار وكانت تحتوى على سور القرآن كما رتبت في تسلسلها كما هو الان في المصاحف الحالية المتداولة ، مبتدئة بسورة الفاتحة



مخطوط

قرآنى كريم بالخط الكوفى المجود يعتقد انه نسخ فى بغداد فى القرن الثانى الهجرى ، مكتوب على الرق بخط جميل حسن وتبين الصورة التحديث الاول بمفرده حيث استعملت النقاط الحمراء للدلالة على حركات الاعراب كما وصفها ابو الاسود الدؤلى ـ لاحظ تجزئة الكلمات كما جاء فى (المقال) فى السطر الاول الى الرابع .

ومنتهية بسورة الناس وكانت بدون اعجام او اعراب ، والواقع ان هذه المصاحف لم تكن في حاجة الى اكثر من ذلك ، لان العرب في ذلك الوقت كانوا اصحاب بلاغة وفصاحة ومعرفة تامة بلغتهم العربية ولم يدخل على هذه المصاحف اي نوع من الاعجام او التنويع الفني وكانت بسيطة خالية من الزخارف والتطوير الفني والاشكال الهندسية او الجمالية التى عرفت فيما بعد ، كما انها كانت بدون تحلية او زخرفة او تلوين او تذهيب ، وصنعتها الفنية كانت بدائية اولية متواضعة ، والواقع ان الزخارف الجمالية التى ازدانت بها المصاحف فيما بعد هي وليدة تطور زمنى ارتبط بالحضارة والفن وتطور الخط العربي وفي الكتابة والزخرفة وساعد على تنمية هذا الفن الزخرفي استعمال الخط الكوفي وتطويره .

ان المصاحف التى خطها زيد بن ثابت للخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كانت خالية من التجزئة والزخرفة والاعجام وكانت بسيطة الشكل والكتابة والتجليد ، بخط مدني مجود واضح ، ومداد اسود محكم كتب على صفحات من الرق المصقول وعلى وجهى الصفحة .

متى كتبت مصاحف عثمان

لقد ارسل الخليفة عثمان بن عفان مصاحفه المشهورة الى الامصار بعد الفراغ منها في السنة الخامسة والعشرين للهجرة (645)م وكان قد بدأ في جمعها في عام (644)م من الهجرة النبوية الشريفة وهذا التاريخ يبين ان الجمع الموثق والمتفق عليه من القرآن الكريم الذي اجمعت الامة الاسلامية عليه قد تم في فترة زمنية محددة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعدى الخمسة عشر عاما وهي فترة وجيزة جدا اذا ما قيست بمقياس الزمن ، وانه لمن المؤكد ان مصحف عثمان الذي اجتمعت عليه الامة كان قد ارتبط ارتباطا وثيقا « بالمصحف » الذي كتب للخليفة ابى بكر الصديق اثناء خلافته وبهذا فان الفترة الزمنية بعد التدوين الكامل للقرآن ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعدي السنتين او حوالى الثلاث سنوات منذ ان توقف الوحي الالهي عن النزول في حجة الوداع .

هل ارسل عثمان احد مصاحفه للبحرين ؟

لقد اختلف في عدد المصاحف التى ارسلها الخليفة عثمان ، فقيل انها اربعة مصاحف ارسلت الى الكوفة والبصرة والشام وترك واحدا عنده ، وقيل انها سبعة نسخ من المصحف الكريم ، وقد تحدث عن هذا الرأي في مخطوطه المشهور « كتاب المصاحف » ابو بكر عبدالله بن ابي داود السجستاني المتوفى سنة 316)هـ فقال : « حدثنا عبدالله قال سمعت ابا حاتم السجستانى قال : لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحدا الى مكة ، واخر الى الشام ، واخر الى

اليمن واخر الى البحرين ، واخر الى البصرة واخر الى الكوفة وترك بالمدينة واحدا » .

والواقع ان الرواية التى تقول بانها سبعة مصاحف هي اقرب الى الواقع اذ انه لا يعقل ان يخص الخليفة مواقع معينة من الدولة الاسلامية دون الاخرى وخاصة ان مكة واليمن والبحرين كانت من المراكز الاسلامية المهمة في ذلك [1] الحين وكان المسلمون ينظرون ويتعطشون الى نسخ القرآن من مصدره الحقيقي وهو مصحف عثمان الموثق والمختوم من الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وان هذا المصحف « الامام » هو المرجع الاصلي لا ستنساخ مصاحف الاقليم وهو المرجع الاساسي المؤكد للعرض والتدقيق والمقارنة لبقية المصاحف المخطوطة في الاقليم وفي هذا يقول السجستاني « حدثنا عبدالله حدثنا على بن حرب حدثنا القاسم حدثنا سفيان قال : كان زيد اذا حضر شهر رمضان عرض القرآن فاجتمعوا اليه بالمصاحف » (والمقصودب زيد في الحديث هو الصحابى الجليل زيد بن ثابت كاتب الوحي ومدون القرآن للخليفة ابى بكر الصديق وعثمان بن عفان رضى الله عنهما) .

وقد قيل ان الخليفة عثمان بن عفان اختار وارسل حفاظا من الصحابة مع المصاحف فأمر زيد بن ثابت ان يقرأ في المصحف في المدينة المنورة وبعث عبدالله بن السائب مع المصحف الى مكة المكرمة ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى وابا عبدالرحمن السلمى مع المصحف المرسل الى الكوفة .

ولقد كانت البحرين منطقة مهمة منذ بداية التاريخ الاسلامى فقد ارسل النبى صلى الله عليه وسلم رسالة مهمة الى المنذر بن ساوي أمير البحرين حملها اليه العلاء بن عبدالله الحضرمي (راجع الوثيقة العدد الاول ـ رسائل النبي صلى الله عليه وسلم) يدعوه فيها للاسلام وقد استجاب لذلك وارسل خراج البحرين الذي بلغ 80 الف (درهم) وهذا مما يؤكد اهمية البحرين الاقتصادية في تلك الحقبة التاريخية ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد اهل البحرين فارسل اليهم الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضى الله عنه الجحفل السادس بقيادة العلاء الحضرمي ليقاتل اهل البحرين

(1) في العصر الاسلامى الاول كان يطلق اسم البحرين على اقليم اسلامي متكامل واسع الارجاء والمساحة خصيب الارض مترامي الاطراف يحده الساحل الغربي للخليج العربي ليكون الحدود الطبيعية للدولة الاسلامية ، ولقد كانت جزر البحرين هي المركز الحضارى لهذا الاقليم منذ القدم كما ان موقعها المتميز ما بين اطراف الاقليم الممتدة من البصرة الى عمان قد اعطاها ثقلا اضافيا لتكون البوابة الرسمية لهذا الاقليم الذي كان يطلق عليه الاقليم السادس في الدوله الاسلامية .

ويردهم الى الاسلام ، وقد تم ذلك وعادت البحرين لتنعم بضياء النور والسلام تحت راية الاسلام واصبحت ولاية مستقلة في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضى الله عنه ولكنها ارتبطت بعد ذلك مع الاهواز في ولاية مشتركة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ان هذا الشرح المبسط للمرحلة التى سبقت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه يؤكد اهمية البحرين كمركز حضارى مهم في الرقعة الاسلامية ولهذا فانه ليس من البعيد او المستغرب ان يرسل الخليفة عثمان بن عفان احد مصاحفه السبعة الى ولاية البحرين ، ومهما يكن من أمر فان هناك اسبابا منطقية عديدة ، بالاضافة الى الروايات التاريخية ، تساند الرأي القائل بان المصاحف العثمانية السبعة قد ارسل منها الى البحرين ومنها :

1 ـ كانت البحرين احدى الولايات المهمة في صدر الاسلام وكانت اهميتها الحضارية تعادل الولايات الاسلامية الاخرى كاليمن والبصرة .

2 ـ كانت ولاية البحرين مركزا زراعيا وتجاريا وبحريا ، ملتقى الطرق البرية والبحرية وكانت ذات موارد بشرية واقتصادية .

3 ـ لقد ارتد اهل البحرين عن الاسلام في عهد ابي بكر الصديق رضى الله عنه ولهذا فانه من المهم وجود المصحف العثمانى الاول بين ايديهم ليكون النهج السليم والمرجع الدقيق في القراءة والنقل .

هل لا تزال مصاحف عثمان موجودة ؟

سؤال يطرح نفسه على الباحث المدقق ، فهناك الكثيرون الذين يعتقدون ان مصاحف عثمان التى ارسلها الى الامصار او بعضا منها على الاقل لا تزال باقية متواجدة في اماكن مختلفة من العالم الاسلامى ما بين المتاحف الرسمية ، والمساجد الاثرية التاريخية ، والمكتبات الاسلامية العريقة المنتشرة في العالم الاسلامى ولقد دلت النصوص والمراجع التاريخية المدونة على ان بعض مصاحف عثمان او اجزاء منها قد انتقلت خلال فترات تاريخية مختلفة ، من البلدان التى ارسلت اليها ، الى مدن اسلامية معروفة من الرقعة الاسلامية بما فيها مدينة دمشق ، وحمص في الشام والبصرة وبغداد في العراق ، والمدينة المنورة ومكة المكرمة في الحجاز ، وقرطبة في الاندلس ، والقيروان في المغرب العربي .

ويعتقد ان هناك الان اربعة مصاحف تنسب الى الخليفة عثمان بن عفان متواجدة في اربعة اماكن مختلفة هي :

1 ـ متحف طشقند ـ طشقند (عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية)

2 ـ المشهد الحسينى ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

3 ـ متحف الاثار الاسلامية ـ اسطنبول ـ تركيا

4 ـ متحف طوب قبو ـ اسطنبول ـ تركيا

ولقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد

(1) بدراسة هذه المصاحف الاربعة دراسة ميدانية وافية مستفيضة وكانت نتائج هذه الدراسة ان المصاحف الاربعة المذكورة ليست مصاحف عثمان المعروفة تاريخيا وانما هي مصاحف من القرن الاول الهجري وقد لخص رأيه الذي توصل اليه في عبارات واضحة مؤكدة قال فيها : « ان هذه المصاحف الاربعة رغم نسبتها الى عثمان ليست بخط واحد ، ولا قياس واحد ، ولا عصر واحد ، ونرجح انها نقلت عن اصل عثماني قديم ، اي عن احد المصاحف التى ارسلها عثمان الى الامصار لذلك اطلق عليها مصاحف عثمانية » .

واستنادا لهذا الرأي فانه يمكن القول ان جميع المصاحف التى ذكرت النصوص التاريخية انها موجودة في البلاد الاسلامية التى ارسلت اليها قد اختفت من اماكنها التى كانت متواجدة فيها وذكرت بعض النصوص انها قد شوهدت في هذه الاماكن المعروفة ومهما يكن من امر فانه من الصعب ان يحكم الانسان على ان هذه المصاحف الاثرية التاريخية قد اختفت بالكامل وانها غير محفوظة في مكان ما ، اذ انه لا يعقل ان هذه المصاحف الاثرية والمهمة جدا والتى يحترمها جميع المسلمين بما فيهم المحاربون والفاتحون يمكن ان تختفي بالكامل ولابد ان البحث والتنقيب والاهتمام المتزايد سوف يكشف عن وجودها بالكامل او وجود بعضها او بعض اجزائها كما حدث لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم اذ اعيد اكتشاف اربعة من هذه الرسائل النبوية الشريفة خلال الحقبة التاريخية الحديثة (2) كما انه لم تتحدث كتب التاريخ عن حريق في المساجد او الاماكن التى كانت هذه المصاحف التاريخية متواجدة فيها .

المراحل التى مرت بها كتابة القرآن الكريم

لقد مرت كتابة القرآن الكريم خلال مراحل عديدة مختلفة اهمها تطوير وتجويد الخط العربي المستعمل في كتابة القرآن ليكون عدة مدارس مختلفة للخط ، كما ان المواد التى استعملت في كتابة القرآن قد تغيرت وتطورت تطورا اساسيا منذ ان كتبت مصاحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد شمل التطوير الابجدية والهجاء العربي ، فادخل عليها التنقيط لفك اعجام الاحرف الابجدية كما ادخل التعريب النحوي على كلمات القرآن الكريم من اجل تسهيل عملية القراءة السليمة والنطق الصحيح للقرآن الكريم ، للمسلمين الاعاجم الذين

---

(1) دراسات في تاريخ الخط العربي ـ الدكتور صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ 2791

(2) رسائل النبي صلى الله عليه وسلم للأباطرة والملوك والامراء ـ الوثيقة ـ ـ العدد الاول ـ مركز الوثائق التاريخية/البحرين 6-1982

دخلوا في دين الله افواجا وبدأوا يرتلون القـرآن بلهجـة يشـوبهـا التصحيف والالحان ، مما ادخـل بعض الخلل غير المقصود بالمعني الدقيق للآيات القرآنية ، ومن المراحل المهمة التى مرت بها كتابة القـرآن ادخال التحلية الجمالية عـلى اختلاف انواعها والتى تفنن في صناعتها الخطاطون المسلمون عبـر الزمان كمـا ارتبطت هذه الصناعة بالمكان والحقبـة التاريخية . وقد كان دور الفنان المسلم في هذا المضمار آية من آيات الفن الرفيـع المجود كما ان انتاجه كان اصيلا مبدعا جمـع البسـاطة والتنـاسق في الالوان والترابط في الاشكال والدقة في الانتاج .

لقد ادخلت معظم التحسينات الاولية والاساسية في كتابة المصحف الشـريف لتفـادي اللحن والتصحيف في العـهـد الامـوي خلال خـلافة معـاوية بن ابي سفيان وخلافة عبدالملك بن مروان بعد ان استقـرت امـور الدولة الاسـلاميـة وانشئت الدواوين وبدأ التطوير والتجويد في المرافق المختلفة للدولة ، وقد استعمل الخـط الكوفي بـدلا من الخـط المكي او المدني في كتابة المصاحف في بداية خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنـه ، واستمـر الى القـرن الخـامس الهجرى وفي خلال هذه الفترة التاريخية المهمة استعمل الخط الكوفي استعمـالا شائعا في كتـابة معـظم المصاحف التى نسخت عـلى الرق ، اما طريقـة الهجاء والرسم التى استعملها الخليفة عثمـان بن عفان في مصاحفه فانها لم تتغير تغيرا جذريا على مر الزمان وانما ادخلت عليها بعض التعـديلات البسيـطة بـين فتـرة واخـرى وبقيت واستمرت طريقـة رسم القـرآن كما كـانت عليـه في المصـاحف العثمـانيـة منـذ ذلك الامـد الى وقتنـا الحاضر .

وكمـا بينت هذه الدراسـة فالقـرآن الكـريم قد دون خـلال ثـلاث مـراحـل رئيسية كانت الاولى عند نزول الوحي في حياة النبي صلى الله عليـه وسلم وتحت امـرته واشـرافه وكـانت الثانيـة خلال خلافة امير المؤمنـين ابي بكر الصـديق رضى الله عنه والثالثـة في عهد الخليفـة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد مرت كتـابة المصحف الشـريف كذلك خـلال ثلاث مراحل اساسية تم خلالها ادخال التعـديـلات والاصـلاح والضـوابـط والاعـراب على كتـابـة اللغـة العـربيـة للمصاحف فاصبحت فيما بعد لغة قوية متكـاملة لا لبس فيها او اعـاقة ، تقـرأ قـراءة صحيحه واضحـة بنـطق سليم مشكـل بدون تصحيف او لحن لوجـود الاعـراب النحـوى والتنقيـط الرمـزى للاحرف الهجائية .

استعمال التنقيط لفك الاعجام

لقد كان العرب يكتبون اللغة العربية في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهـد الخلفاء الراشـدين بـدون اعجام او اي نوع من الضوابط الشكلية وكانوا يعتمدون على سليقتهم الفصحى في القراءة والكتابة وكانت لديهم منـاعة ذاتية ضد اللحن والنطق غير الصحيح .

لقد دون القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الصحابة كتاب الوحي بدون اي نوع من الاعجام او التشكيل وكذلك كانت مصاحف الصحابة والخلفاء الراشدين بما فيها المصاحف العثمانية التى ارسلت الى الامصار والمصاحف التى نسخت عن مصاحف عثمان كانت جميعها غير منقوطة او معجمة والواقع ان الاعجام لم يستعمل بتوسع الا في مرحلة متأخرة من القرن الاول الهجرى كنتيجة للتصحيف واللحن الذي ارتبط بالمسلمين الاعاجم .

ومع ان التنقيط لم يستعمل في المصاحف في بداية الاسلام الا ان هناك بعض الروايات التى تبين ان التنقيط كان معروفا في تلك الحقبة التاريخية الا انه لم يستعمل الا نادرا وذلك لانه كان يفترض من الكاتب والقارىء ان يميز الاحرف المكتوبة بدون اعجام وان ينطق بها بدون مشقة او خطأ او تصحيف وهكذا كان لان العرب قبل ان يخالطوا الاجناس الاخرى كانوا ذوى فصاحة لا يحتاجون الى الضوابط لمنع السنتهم من الخطأ ونطق الالفاظ نطقا غير سليم .

استعمل الاعجام في القرآن الكريم من خلال ثلاث مراحل رئيسية تاريخية من الاصلاح حيث استحدث النحو والاعراب . واعجمت الحروف وضبطت القراءة والنطق ومكنت المسلمين الاعاجم من ترتيل القرآن الكريم بدون لحن او تصحيف ، ولقد كانت المرحلة الاولى للاستحداث الجديد هي ادخال التنقيط للدلالة على النحو وقواعده . اما المرحلة الثانية فقد ارتبطت بتنقيط بعض الاحرف الهجائية المتشابهة لتمييزها ، والمرحلة الثالثة تميزت بتغير نقاط النحو والقواعد اللغوية .

التحديث الاول

التحديث الاول هو ادخال التنقيط لضبط اعراب الكلمات وقد تم هذا الاستحداث الجديد على يد ابي الاسود الدؤلي (3) سنة 67 هجرية وقد كان ذلك بحوالى سنتين قبل وفاته في عام 69 هجرية .

تروى كتب التاريخ ان أبا الاسود الدؤلى هو الذى أدخل الاعراب على القرآن الكريم بناء على طلب زياد بن أبيه

(3) ابو الاسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي من كبار التابعين العلماء وهو شاعر وامير وفارس ، وكان واليا للبصرة في خلافة علي بن ابى طالب وقد شهد معه صفين ، تعلم النحو من امير المؤمنين على بن ابي طالب وكتب الكثير فيه وكان اهتمامه بتعلم الكلام ناتجا عن سماعه اللحن في العربية وسببه ان ابنته نظرت الى السماء في ليلة شديدة الصحو وقالت : ما احسن السماء (بضم النون) فأجابها : نجومها ، قالت اردت التعجب ولم ارد السؤال فقال : عليك ان تقولي : ما احسن السماء (بفتح النون) وتفتحي فاك ، ولما اصبح ذكر ذلك للخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه فعلمه رضي الله عنه ابوابا عديدة من النحو وقال : « انح هذا النحو يا ابا الاسود » .

وقد كان واليا على البصرة قبل معاوية لما رأى اللحن قد استفحل فى البصرة وكان ذلك بعد ان سمع أبو الاسود الدؤلي قارئا يرتل القرآن ملحنا فقرأ قوله تعالى : « ان الله برىء من المشركين ورسوله » وقد قرأ (رسوله) بكسر اللام فاخلف المعنى بكامله اذ أدى الى الفهم ان الله برىء من رسوله ، فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال : عز وجه الله ان يبرأ من رسوله .

كيف طبق التحديث الأول

وقد تمت عملية الاعراب للمصحف الكريم بأن اختار أبو الأسود كاتبا وقال له : « خذ المصحف وصبغا يخالف لون مداد المصحف . واستمع الى ما أقرأ ، فاذا رأيتنى فتحت شفتى عند النطق بحرف فاجعل نقطة فوقه ، واذا كسرتها عند نطقى بالحرف فاجعل نقطة تحته ، واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف الذى نطقت به ، واذا اتبعت شيئا من الحركات غنة فاجعل الشكل نقطتين ، واما الساكن فاتركه بلا نقط ، واخذ يقرأ القرآن بتأن والكاتب يضع النقاط وكلما أتم الكاتب صحيفة راجعها أبو الأسود معه حتى اكملا ضبط المصحف بأجمعه على هذه الطريقة .

وبهذا فان النظام الذى اتبع فى وضع الاعراب هو :

- علامة الفتح : نقطة حمراء فوق الحرف .
- علامة الضم : نقطة حمراء فى قلب الحرف أو جانبه .
- علامة الكسر : نقطة حمراء تحت الحرف .
- علامة التنوين : (ضمتان) : نقطتان حمراوان .
- علامة السكون : يترك بدون تنقيط .

وتحدثت المصادر التاريخية المختلفة عن انه قد استعملت الوان اخرى من المواد لضبط النحو فى المصاحف فقد استعمل فى مصاحف الاندلس أربعة الوان مختلفة اللون : اللون الاسود للكتابة واللون الاحمر لنقاط القواعد واللون الاصفر للهمزات ، واللون الاخضر لالفات الوصل ، وقد ادخل الاعراب على القرآن الكريم فى البصرة وتبعتها مكة ثم المدينة وتلا ذلك اهل المغرب والاندلس وبتتبع المصادر التاريخية فان الرق المكتوب بالخط الاسود والمنقوط باللون الاحمر للاعراب اما ان يكون من الشام أو العراق ، اما اذا استعملت الالوان الاربعة المكونة من الاسود والاحمر والاخضر والاصفر فان غالبية الامر ان هذه المصاحف اما ان تكون اندلسية أو مغربية أو مدنية .

ومع ان أبا الاسود الدؤلى هو الذى ادخل الاعجام النحوى على الحرف العربى الا ان علم التنقيط ، واستعمال النقاط مع الاحرف كان معروفا فى تلك الحقبة التاريخية وكانت اللغة السريانية الشرقية قد استعملت نظام التنقيط اولا للتفرقة بين الاحرف السريانية المتشابهة ثم ادخلت بعد ذلك اعراب الكلمات

السريانية ، ولهذا فانه ليس من المستبعد ولا من المستغرب ان يكون ابا الاسود الدؤلى قد استعان واستفاد من الطريقة السريانية المعروفة والمجربة آنذاك عند ادخاله للتنقيط النحوى على الكلمات العربية .

لقد تفنن الخطاطون المسلمون فى ادخال الاشكال المختلفة للنقاط النحوية عند نسخهم للقرآن الكريم فمنهم من جعلها نقاطا مستديرة مملوءة الوسط بالمداد ومنهم من جعلها مدورة مجوفة ، وكذلك استعملت النقاط المربعة الخالية والمملوءة ، بالاضافة الى نقاط فى شكل معين ، استعمل مداد احمر اللون للنقاط النحوية التى شكلت فيها كلمات القرآن الكريم كما استعمل المداد الاسود لكتابة الآيات القرآنية الكريمة .

التحديث الثانى

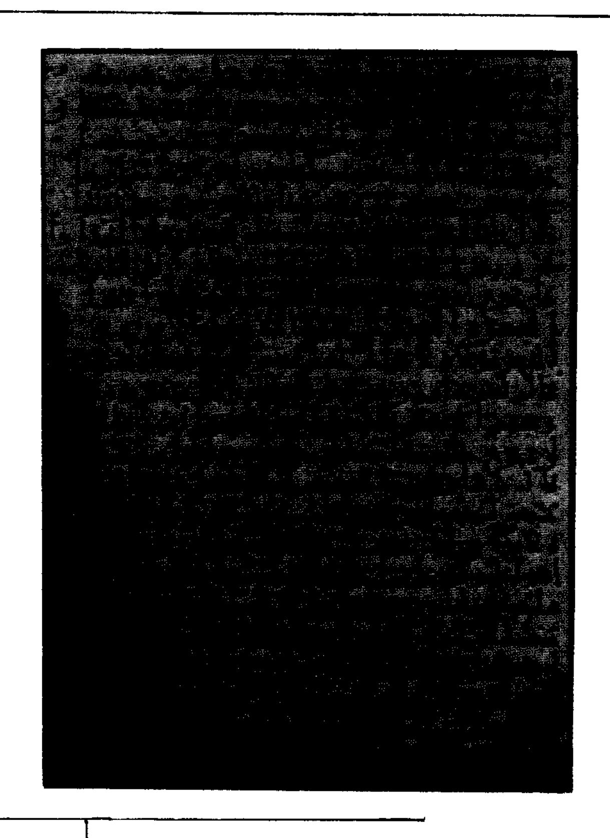
التحديث الثانى هو ادخال التنقيط لاعجام حروف الكلمات وذلك بتنقيط الاحرف المتشابهة منها من أجل تمييزها ونطقها النطق السليم الصحيح .

كانت العراق ملتقى الحضارات امتزج فيها العنصر العربى بالعنصر العجمى وجمعهم الاسلام على دين واحد وقرآن واحد يرتله الجميع بقلوب خاشعة مطمئنة ، الا ان الاعاجم لم تتمكن من معرفة اللغة العربية بالسليقة التى اقتصرت على العرب وحدهم فكثر التصحيف والقراءات الخاطئة ، ومع ان ابا الاسود الدؤلى ادخل التحديث الاول بوضعه الاعراب اللغوى للكلمات الا ان هذا التحديث لم يحفظ الالسن من الخطأ بالنسبة لتمييز احرف الكلمات ولكنه مكن الاعاجم من تفادى اللحن فى القراءة ونطق الكلمات النطق السليم المعجم ولهذا فقد بقى التصحيف المرتبط بالحرف مستمرا دون اصلاح ، فكثرت الاغلاط وحرفت الايات القرآنية عند قراءتها عن غير قصد وذلك نظرا لتشابه احرف بعض الكلمات واستمرارها بدون تمييز .

هذا التصحيف الخاطىء فى القرآن ازعج الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق من قبل عبد الملك بن مروان ولهذا فقد اتخذ القرار الحكيم بتعيين لجنة مكونة من اثنين من خيرة العلماء كانا من التقوى بحيث لا يتهمان فى دينهما وقد تتلمذا على يد ابى الاسود الدؤلى هما نصر بن عاصم الليثى الفقيه المتوفى سنة 89 هـ ويحيى بن يعمر العدوانى قاضى خراسان المتوفى سنة 129 هـ وطلب منهما ادخال الاصلاح الذى يحمى القرآن الكريم من التصحيف واللحن وقد تم انجاز هذا العمل المهم فى الثلث الاخير من القرن الاول الهجرى وفى حوالى سنة 85 من الهجرة النبوية .

التمييز بالنقاط

ولقد بدأ العالمان عملهما المثمر بعد التروى والتأنى وقررا ان يكون اساس التمييز بين اشكال الحروف المتشابهة هو وضع النقاط او اهماله وقد وضعت النقاط افرادا وازواجا او ثلاثا لتمييز الاحرف المتشابهة كما حدد عدد النقاط للحرف



مخطوط قرآني

كوفي مسطور مجود معجم كتب في العراق على الورق البغدادي حسب التحديث الاول والثاني ، النقاط الحمراء للدلالة على حركات الاعراب حسب تحديث ابي الاسود الدؤلي

والنقاط السود للدلالة على اعجام الاحرف كما وضعت في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي . يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجري . وهذه الصفحة جمعت تطور الخط العربي وأصالته .

الواحد على الا تزيد في اقصاها على ثلاث نقاط كما قررا موقع هذه النقاط بالنسبة للحرف في اعلاه او في اسفله ، والملاحظ ان حرفين فقط من الاحرف الهجائية بثلاث نقاط هما : ث . ش وثلاث حروف بنقطتين هي : ت . ق [1] ي اما بقية الحروف التي استعملوا فيها الاعجام فاقتصرت على نقطة انتخب موقعها ليتناسب مع سهولة الكتابة وجميعها فوق الحروف ما عدا حرف : ب . ج .

ويتحدث القلقشندي عن مواقع النقاط على الاحرف فيقول : « انه اذا كان الحرف ثلاث نقاط ، فان كانت ثاء جعلت واحدة فوق اثنتين ، وأن كانت شينا فبعض الكتاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه سطرا (ﺶ) وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة والواقع ان اقدم مخطوط من الرق شاهدته استعملت فيه نقاط الشين في سطر واحد يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجري كتب على الرق بخط كوفي جميل وبمداد اسود للكلمات ونقاط الاعجام ومداد احمر لنقاط الاعراب .

ولتفادي الصعوبات التي نتجت عن

---

(1) في المغرب العربي (شمال افريقيا) منذ التحديث الثاني فانه يستعمل نقطة واحدة في اسفل حرف الفاء : (ف) ونقطة واحدة بدلا من نقطتين في أعلى حرف القاف : (ف) .



صفحة من مخطوط اندلسى نادر كتب على الورق بالخط المغربى المجود وادخل عليه الاعجام والالوان المختلفة للحركات حسب النهج الاندلسى ويرجع تاريخه الى القرن السادس الهجرى ويلاحظ فى هذا المخطوط جودة الخط وكتابة الآيات القرآنية بخط كبير منسق واضح والآيات الكريمات من سورة آل عمران (140—144)

تواجد نقاط عديدة على الكلمات وهي التشكيل للاعراب الذى ادخله ابو الاسود الدؤلى فى التحديث الاول والنقاط الجديدة الخاصة بأعجام الحروف فقد تلافيا هذا الاشكال بجعل نقط الاحرف بنفس المداد المستعمل فى كتابة الحروف وذلك لانهما اعتبرا نقط الحروف جزءا منها كما ابقيا على اللون الاحمر الذى استعمله الدؤلى فى نقط التشكيل وبهذا فقد تميزت النقاط واصبح من الممكن ان يقرأ القرآن قراءة سليمة خالية من التصحيف .

ومع ان النقاط استعملت لفك اعجام الاحرف الا ان العديد من المصاحف المكتوبة على الرق والمتواجدة فى المتاحف الاسلامية والذى يوجد فى محتويات بيت القرآن نماذج منها يرجع تاريخها لما بين القرن الاول والثالث الهجرى اظهرت نوعا آخر من علامات الاعراب مكونا من خط ضعيف مائل للنقطة الواحدة او خطين للنقطتين بدلا من التنقيط المستدير كما هو فى الاعراب ، مثال على ذلك كلمة « تجزي » فقد كتبت هكذا ، تَجِزَى ولابد ان الهدف من استعمال الخط المائل الضعيف بدلا من النقط هو من اجل التعرف والتمييز بين نقاط الاعراب واعجام الحرف .

تمييز كل حرف

احرف اللغة العربية هى 28 حرفا هجائيا بالاضافة الى حرف « لا » وقد كانت بعض الحروف قبل ادخال الاعجام فى التحديث الثانى متشابهة ومتقاربة بالكامل لا يمكن تفرقتها الا عن طريق المعرفة المسبقة للكلمة او الاطلاع القوى الطبيعى على قواعد اللغة العربية الفصحى مع ان النطق بهذه الاحرف يختلف اختلافا كليا ، ومثال ذلك احرف : ب . ت . ث . جميعها كانت تكتب متشابه

هكذا (ب) قبل ادخال التنقيط مع ان اللفظ لكل حرف من هذه الحروف مختلف بالكامل عن الآخر ، ولم تتضح الصورة ويتميز الحرف العربى الا بعد ادخال التحديث الثانى على المصاحف حيث اعطيت لكل حرف متشابه حركة معينة من النقاط المميزة له ، وبذلك اصبح من الممكن لاول مرة فى التاريخ العربى ان يتميز كل حرف بمفرده من ناحية الرسم والشكل والنطق السليم الذى لا لبس فيه ولا تصحيف ، وبهذه الطريقة الصحيحة من الاعجام امكن نطق الاحرف العربية فى الكلمات النطق الصحيح المؤكد بدون لحن أو اعتماد على التخمين اللذين رافقا اللسان الاعجمى فى هذه الفترة التاريخية .

وقد شرح السيد محمد طاهر الكردى[2] طريقة التنقيط بالنسبة للاحرف كما بين الاسباب التى دعت لاستعمال اكثر من نقطة على الحرف ، فيقول : « توضع النقط افرادا وازواجا لتمييز الاحرف المتشابهة فلتمييز الدال من الذال تهمل الاولى وتعجم الثانية بنقطة واحدة علوية وكذلك الراء والزاى والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين وجعلا تمييز السين عن الشين باهمال الاولى كالعادة واعجام الثانية بثلاث نقط لان لها ثلاث اسنان فلو اعجمت بنقطة واحدة لتوهم متوهم ان الجزء الذى تحت النقطة نون والباقى حرفان مثل الباء والتاء تسوهل فى اعجامها » .

«وأما الباء والتاء والثاء والنون والياء فلم تجعل واحدة منهن مهملة كالعادة بل اعجمت كلها لأن الاشتباه يقع فيها من وجهين (اولهما) انه اذا اجتمع ثلاث منها يشتبهن بالسين والشين (وثانيهما) انها ليست زوجية كالدال والذال والعين والغين بل هى خمسة احرف فاذا اهمل احدها فربما توهم انه حرف تسوهل فى اعجامه وحينئذ يكون اطراف الشك اربعة وهى كثيرة (أما) الجيم والحاء والخاء فلم يجتمع فيها الاشتباهان اللذان اجتمعا فى السين ولذلك جعل احدها - الحاء - مهملة واعجم الآخران واحدة من تحت والاخرى من فوق (واما) الفاء والقاف فكان القياس ان تهمل اولاهما وتعجم اخراهما بنقطة كباقى الاحرف الزوجية كالدال والذال والراء والزاى وقد ذهب المشارقة الى نقط الفاء بواحدة من اعلى والقاف باثنتين من اعلى ايضا وذهب المغاربة الى نقط الفاء بواحدة من اسفل والقاف بواحدة من اعلى ومعنى هذا الخلاف ان الناقلين عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر غير متفقين على كيفية اعجام هذين الامامين لهذين الحرفين فذهب المشارقة الى رأى والمغاربة الى آخر وكلاهما لا وجه له لان القياس اهمال الاول واعجام الآخر » .

(2) تاريخ الخط العربى وادابه - السيد محمد طاهر عبدالقادر الكردى - مكتبة الهلال -1939

الأحرف المنقوطة

الأحرف المنقوطة فى الهجاء العربى هي : الباء . التاء . الثاء . الجيم . الخاء . الذال . الزاء . الشين . الضاد . الظاء . الغين . القاف . النون . الياء .

أما الأحرف العاطلة فى الهجاء العربى التى لا تحتاج الى تنقيط لفك أعجامها فهي : الألف . الحاء . الدال . الراء . السين . الصاد . الطاء . العين . الكاف . اللام . الميم . الهاء . الواو .

وقبل التحديث الثانى كانت الأحرف العربية على الطريقة الأبجدية أسوة باللغات السامية التى اشتقت منها اللغة العربية ، الا ان التحديث الجديد الذى أدخل الأعجام على الحروف أعطى مجالا طيبا لأن يغير التسلسل الحرفى عما هو متبع فى الأحرف الأبجدية الى طريقة أكثر منطقية وقابلية للواقع الجديد ، تأخذ بعين الاعتبار التجاور للأحرف المتشابه فى الرسم والكتابة ، بالاضافة الى التدرج العددى بالنسبة للنقاط المستعملة فى هذه الأحرف ولقد أدخل هذا التعديل على مواقع الأحرف من قبل اللجنة الثنائية التى عينت بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفى لادخال الاعجام على الأحرف والمكونة من نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى ، وبهذا فقد أصبح الترتيب الهجائى للأحرف العربية على النحو التالى :

أ . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ع . غ . ف . ق . ك . ل . م . ن . هـ . و . لا . ى .

وهناك بعض الاختلاف بالنسبة لمواقع الأحرف بين المشرق والمغرب العربى فاذا أخذنا التسلسل المشرقى كأساس فاننا نرى ان الاختلاف يبدأ بعد حرف . ز ويستمر بالنسبة لتسلسل الهجاء المغربى على النحو التالى : ط . ظ . ل . م . ن . ص . ض . ع . غ . ف . ق . س . ش . ه . و . لا . ى .

قبول الأعجام :

فى بداية عهد التنقيط للأعجام واجهت هذه المهمة بعض الاعتراض من قبل المسلمين الذين كانوا يكرهون أن يزيد أحد شيئا على مافى مصحف عثمان ولو من أجل الاصلاح وقد توقف العديد منهم عن استعمال هذا التحديث فى كتابة القرآن الكريم الا ان الأمر حزم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى حيث أمر بأن تكتب المصاحف فى العراق باتباع وادخال طريقة الأعجام الجديدة دون الالتفات الى احتجاج المعترضين وبهذا فقد أسدى خدمة جليلة للمحافظة على القرآن الكريم من التصحيف واللحن .

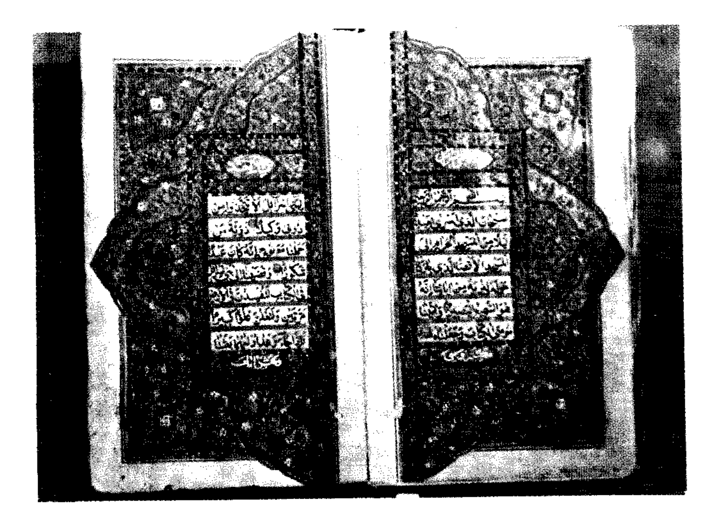
وقد اطلع الخليفة عبدالملك بن مروان على هذا التحديث الجديد الذى قام به الحجاج بن يوسف فاستحسنه وأقره عليه . وأمر الكتاب أن يكتبوا المصحف الشريف بهذه الطريقة فعم الاعجام الدولة الأموية وانتقل من مقر الخلافة الى

المغرب والأندلس وقبله الناس بعد أن ألفوه وعرفوا أهميته والهدف من ادخاله على كتابة القرآن الكريم .

التحديث الثالث :

لقد تم التحديث الأول فى عهد معاوية بن أبى سفيان حيث وضع أبو الأسود الدؤلى منهاج التنقيط باستعمال اللون الأحمر لتنقيط الكلمات للدلالة على الأعراب ، ثم تبعه بعد ذلك التحديث الثانى الذى تم فى خلافة عبدالملك بن مروان حيث أدخل نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر التنقيط بنفس لون الكتابة ليعجم أحرف اللغة العربية ويميزها عن بعضها الآخر وقد شاع استعمال هذه الطريقة ذات النقاط الحمراء للدلالة على الأعراب والسوداء للدلالة على رسم الحرف فى كتابة المصاحف الكريمة فى العهد الأموى واستمرت بدون صعوبة أو مشقة تذكر الى أن جاء العصر العباسى وبدأت تكتب المصاحف الكريمة بلون واحد من المداد هو اللون الأسود الذى استعمل لكتابة كلمات الآيات وللتنقيط المرتبط بالأعراب والأعجام .

وقد شكلت هذه الطريقة الجديدة فى الكتابة صعوبة رئيسية لم تكن معروفة من قبل وهى التمييز بين نقاط الأعراب والأعجام كما ان هذه الطريقة أدخلت بعض اللبس فى القراءة الصحيحة للقرآن وبهذا فانه كان لابد من ادخال اصلاح آخر جديد يأخذ بعين الاعتبار متطلبات العصر العباسى وهى الكتابة بمداد ذى لون واحد ويمكن قراءتها معجمة بدون تصحيف ، ومن هذا المنطلق فقد تم ابدال نقاط الأعراب ذات اللون الأحمر التى وضعها أبو الأسود الدؤلى بطريقة مثلى أكثر ملاءمة للاصلاح المطلوب . وهذا التعديل هو التحديث الثالث للكتابة



مخطوط قرآنى كريم كتب بخط النسخ واستعملت فيه الزخرفة والتحلية الجمالية فى مواقع عديدة من صفحات القرآن والصورة تبين سورة الاسراء (جزء15) ويلاحظ فيها تناسق الالوان والزخرفة الجمالية المختلفة والمكونة من الزهور الصغيرة المتناثرة لتعطى روعة وجمالا على المخطوط ، نسخ هذا القرآن فى ايران فى القرن العاشر الهجرى

العربية المعجمة .

لقد تم التحديث الثالث فى العهد العباسى فى خلافة أمير المؤمنين المهدى ، محمد بن عبدالله المنصور ، الخليفة العباسى الثالث ، على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة 170 هجرية ، ولقد كان الفراهيدى من أوسع الناس علما واطلاعا باللغة العربية فى عصره فتمكن من ادخال التحديث الجديد عن علم ودراية وخبرة ولقد كان منطلقه هو تغيير طريقة النقاط التى أدخلها أبو الأسود الدؤلى تغيرا كاملا بادخال أشكال وعلامات ورموز جديدة تغنى اللغة العربية وتفك الأعجام النحوى بالكامل وفى نفس الوقت تكتب بنفس مداد الخط المستعمل وهى سهلة الشكل ولا ترتبط بصعوبة أو مشقة تذكر ، واستمرت فى الاستعمال الى وقتنا الحاضر عبر أربعة عشر قرنا فى الزمان .

لقد أدخل الخليل الفراهيدى ثمانى علامات جديدة على أعراب اللغة العربية بدلا من التنقيط وهى : الفتحة (ثَ) . الكسرة (ثِ) . والضمة (ثُ) . السكون (ثْ) . والشدة (ثّ) . المدة (آ) . وعلامة الصلة (أ) .

أما اذا كان الحرف المعجم منونا كررت العلامة فكتبت مرتين فوق الحرف أو تحته أو أمامه : فتحتان (ثً) . كسرتان (ثٍ) . ضمتان (ثٌ) أو (ثُ) .

وقد اشتقت هذه العلامات والرموز الجديدة من بعض الأحرف الهجائية العربية فالفتحة والكسرة هى خط مائل فوق أو تحت الحرف أما الضم فيرمز اليه برأس واو . والشدة مأخوذة من لفظ (تشديد) من حرف الشين بدون نقط . ويرمز للسكون برأس الخاء بدون نقطة وهى مأخوذة من لفظ (تخفيف) وبدائرة ، ويرمز لهمزة القطع برأس العين وهى مأخوذة من لفظ (قطع) ، ويرمز لهمزة الوصل برأس الصاد وهى مأخوذة من لفظ (وصل) .

هذه الطريقة الجديدة استعملت بتوسع فى المشرق العربى بعد أن شاع استعمالها فى الكتب والمخطوطات الا ان المغاربة والأندلسيين لم يتقبلوها بسهولة فى بادىء الأمر ولكن بمرور الزمن أصبحت مقبولة مستعملة ثم انتشرت فيما بعد الى جميع المناطق والأمصار الاسلامية التى تستعمل اللغة العربية فى الكتابة .

تجزئة القرآن الكريم

كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة خالية من الاعجام ولم تدخل التجزئة على القرآن الا فى وقت متأخر فى القرن الثانى الهجرى ، وقد تفنن الناسخون للقرآن الكريم بتجزئة المصحف الى عدة اجزاء مختلفة منها تقسيم القرآن الى ثلاثين قسما كل قسم منه اطلق عليه اسم (الجزء)، وقسم الجزء ، الى حزبين او اربعة احزاب سمى كل واحد من هذه الاحزاب الاربعة :

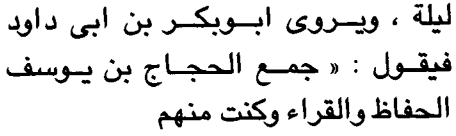


مخطوط
قرآني كريم كتب بخط النسخ واستعمل في صفحاته الزخرفة والتذهيب بأروع انواعها كما استعملت الالوان الزاهية المختلفة والاشكال الهندسية مع الزهور الصغيرة الهادئة لتكون في مجموعها تناسقا متكاملا يعطى الزخرفة الجمالية اصالة وجمالا ورونقا بديعا وهذا المخطوط كتب في تركيا في حوالى القرن العاشر الهجرى .

ربعا ، كما وضعوا كلمة (خمسة) عند نهاية كل خمس آيات وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات .

ان القصد من تجزئة القرآن الى اجزاء واحزاب هو من اجل التسهيل والتيسير في قراءة القرآن وقد استمرت تجزئة القرآن الى ثلاثين جزءا ليسرها وارتباطها بعدد ايام الشهر حيث يسهل على القارىء ختم القرآن في فترة زمنية معلومة وخاصة في ايام شهر رمضان المبارك .

وتذكر المراجع ان اول من جزأ القرآن هو الحجاج بن يوسف الثقفى المتوفى سنة 95 هجرية وقد كان مواظبا على قراءة القرآن وقيل انه كان يقرأ القرآن كله في كل ليلة ، اى انه كان يختم القرآن كل



ليلة ، ويروى ابوبكر بن ابى داود فيقول : « جمع الحجاج بن يوسف الحفاظ والقراء وكنت منهم

فقال الحجاج : اخبروني عن القرآن كله كم هو من حرف .

قال ابوبكر : فجعلنا نحسب حتى اجمعوا ان القرآن ثلاثمائة الف حرف واربعين الفا وسبعمائة ونيف واربعين حرفا

قال الحجاج : فأخبروني الى اى حرف ينتهى نصف القرآن ، فحسبوا فأجمعوا انه ينتهى في الكهف (وليتلطف) في الفاء ـ الآية 19

قال الحجاج : فأخبروني بأسباعه على الحروف .

قال ابوبكر : فاذا اول سبع في النساء (فمنهم من آمن به ومنهم من صد) في الدال ـ الآية 55 ، والسبع الثاني في الاعراف (اولئك حبطت) في التاء ـ الآية 147 ، والسبع الثالث في الرعد (اكلها دائم) في الالف آخر (اكلها) ـ الآية 35 ، والسبع الرابع في الحج (لكل

امه جعلنا منسكا) فى الالف الآية34 ، والسبع الخامس فى الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) فى الهاء ـ الآيـة36 ، والسبع السادس فى الفتح (الظانين بالله ظن السوء) فى الواو ـ الآية6 ، والسابع ما بقى من القرآن .

قال الحجاج : فأخبرونى بأثلاثه .

قـالوا : الثلث الاول رأس مـائـة فى براءه ، والثلث الثانى رأس احدى ومائة آية من طسم الشعراء ، والثلث الثالث ما بقى من القرآن .

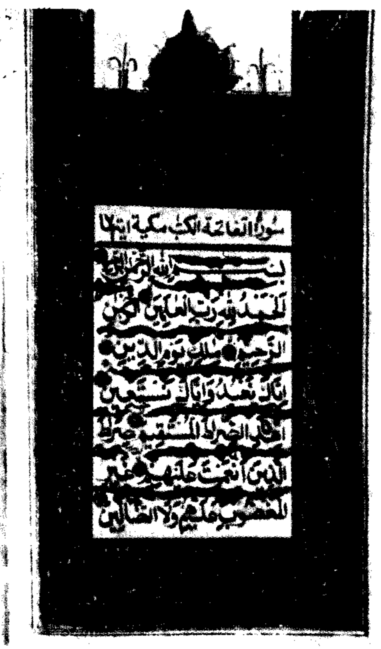
ثم سألهم الحجاج عن ارباعه ،

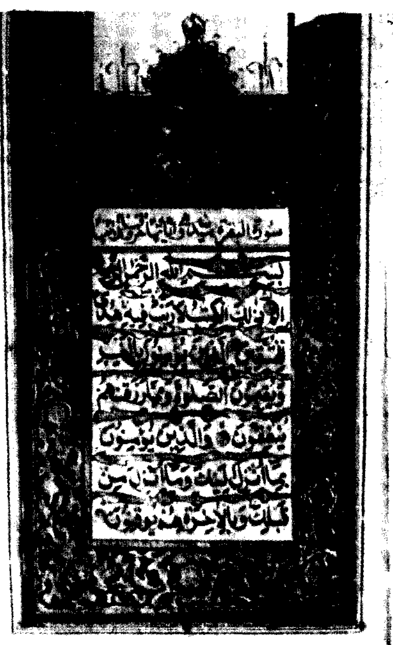
فاذا اول ربع خاتمة سورة الانعام ، والربـع الثـانى الكهف (وليتـلطف)، والربـع الثالث خـاتمة الزمـر ، والربع الرابع ما بقى من القرآن .

ورواية ابوبكر بن ابى داود ترينـا ، كيف جـزأ الحجاج بن يـوسف القرآن الكـريم بالنسبـة للاحرف اعتمـادا على القـراء والحفاظ للقـرآن الكـريم فى تلك الفترة التاريخية ، ومن هنا يتبين لنا ان الحجاج قد جزأ القرآن الى : النصف ثم الى السبـع وذلك ارتبـاطا بعـدد ايـام الاسبـوع ، ثم الى الثلث ثم الى الربع ، ولا بد ان هدف الحجاج من هذه التجزئة هـو ايجـاد الطريقـة السهلة الميسـرة المرتبطة بأيام الشهر والاسبوع لقـراءة القرآن الكريم على مراحل تساعد المسلم ليتبصر فى دينه من خلال قـراءة قرآنـه حسبمـا يتـيسر له من الوقـت فـالدين الاسلامى ربط بين الدين والدنيا .

الزخرفة الجمالية فى المصاحف

لقـد كانت مصـاحف عثمان عـادية بسيطة لم تدخل عليها الصنعة المجودة





مخطوط كريم استعملت فيه الزخرفة الذهبية مع الالوان المتناسقة كتب بخط النسخ فى الهند فى العهد المغولى يرجع تاريخه الى القرن الحادى عشر الهجرى

ولا الفن المطور وانما كتبت بخط اسود بدون اى نوع من الالوان او الزخرفة او الاعجام واستعمل الخط المدنى البسيط المجود فى كتابتها على صفحات من الرق المصقول وكتبت الآيات الكريمة على الوجهين من الصفحة كما تركت الحواشي الفراغية فى اطراف الصفحة خالية كما ان بعض الكلمات القرآنية فى آخر السطر لم تكتب بالكامل وانما قسمت وقطعت بين سطرين لملء فراغ السطر الاول وتكملة الكلمة فى بداية السطر الثانى كما كانت العادة المتبعة فى تلك الفترة عند الكتابة .

لقد كانت المصاحف فى القرن الاول الهجرى بسيطة كتبت بأنواع عديدة من الخط الكوفى واستعمل فى كتابتها اللون الاسود ثم ادخلت عليها نقاط الاعجام بالالوان المختلفة منها اللون الاحمر والاصفر والاخضر ، وقد كانت الزخرفة الجمالية محدودة فى المصاحف العادية المتداولة الا انها قد عرفت واستعملت فى القرن الاول الهجرى ويمكن تقسيم هذا النوع من الزخرفة الجمالية فى هذه المصاحف على النحو التالى :

- استعملت الدوائر او المربعات الصغيرة بزخارف جمالية منوعة وبألوان مختلفة للفصل بين الآيات .
- استعملت المستطيلات الزخرفية البسيطة بالالوان والتذاهيب فى بداية السور .
- ادخلت بعض الدوائر الصغيرة المكررة او المستطيلات المحلاة فى اخر سطر من السورة لملء الفراغ بين آخر كلمة فى السطر والهامش قبل بدء السورة الجديدة .
- ادخلت بعض الاشكال الهندسية البسيطة فى حواشى الهامش لبعض المصاحف المرتبطة بهذه الفترة .

وفى العصر العباسى بدأت الزخرفة الجمالية تظهر فى المصاحف بشكل رئيسى وبدأت تزين الصفحات الاولى والاخيرة بأنواع مختلفة من الالوان الزاهية الجميلة كما ادخلت التحلية الذهبية وظهرت الزخارف احيانا فى الهامش على شكل دوائر او اشتركت مع النصوص الكتابية وكانت صفحات المصحف تحفظ بين الواح مزينة ومذهبة باشكال هندسية جميلة ومطعمة بالعاج ، ثم ادخل فيما بعد التجليد المذهب المضغوط (1) وقد جودت هذه المصاحف بالزخرفة الجميلة المتطورة بالنسبة لمواقف الآيات ، وفواتح السور وأدخلت الزخرفة الجمالية أيضا على أطراف الكتابة فى الحواشي .

لقد بلغ فن الزخرفة الجمالية فى المصاحف اعلى مستوى يمكن أن يصل اليه أى نوع من الفن المجود وخاصة فى العهود الاسلامية المزدهرة كما أن هذا الفن الزخرفى لم يرتبط بمنطقة معينة وانما شارك فيه جميع المسلمين فى

(1) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ـ الاستاذ محمد طاهر عبدالقادر الكردى مكتبة ومطبعة مصطفى البابى ـ مصر ـ1953

اقطارهم المختلفة من الأندلس الى الهند وفى كل فترة من فترات التاريخ كان الانتاج غزيرا ، ومن العناصر الأساسية فى الزخرفة الاسلامية استعمال الوحدات الهندسية المكونة من الدوائر المتماسة والمتجاورة والخطوط المتكسرة والمتشابكة بالاضافة الى الأشكال الهندسية المكونة من المثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات الأضلاع ، كما استعملت النجوم المختلفة والأشكال والزخارف النباتية ، وقد تميزت هذه الفنون الجمالية التى استعملت فى زخرفة القرآن بأنها وحدة متكاملة مترابطة ذات طابع معين ولكنها فى نفس الوقت يمكن أن تكون وحدة منفصلة تعطى نفس الجمال والانطباع بمفردها أو بمجموعاتها المتكررة .

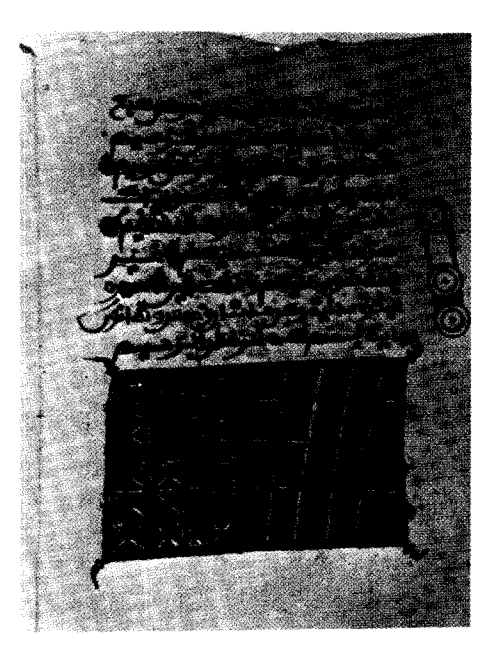
ومع ذلك فان ما وصل الينا من المصاحف المميزة والمخطوطات النادرة يعد القليل جدا بالنسبة لما ضاع من هذه الثروة الفنية والعلمية الرائعة خلال نكبتين من نكبات التاريخ اولاهما دخول التتار دار السلام واحراق واتلاف أعظم المكتبات فى التاريخ والقاء كتبها فى نهر دجلة ، وثانيتهما : ضياع الأندلس ومحاكم التفتيش التى احرقت واعدمت اعظم واجمل ثروة تاريخية عرفت فى التاريخ ، وقد ضاع الكثير من ثروة المخطوطات الاسلامية فى البحر الأبيض المتوسط عند نقلها من اسبانيا الى المغرب بعد ضياع الأندلس فقد كانت السفن المحملة بالمخطوطات تغرق فى البحر عمدا بما فيها من مخطوطات ارتبطت بالحضارة الانسانية لا تقدر بثمن .

بعد هذا الضياع للحضارة الانسانية فقد تمكن المسلمون من المحافظة على تراث اسلامى عريق مرتبط بحكم المماليك حيث تعتبر المصاحف المملوكية المكتوبة بخط النسخ من أجمل واندر المصاحف وتمتاز بضخامة احجامها وخطها الكبير الواضح كما أن زخرفتها الفنية والهندسية ذات الوحدات النباتية أو الأشكال الهندسية تكون فى العادة ملونة بالألوان الزرقاء المنسجمة مع الألوان الأخرى المستعملة المموهة بالذهب بعض هذه المصاحف تكتب بأكملها بماء الذهب ، كما أن بعض المصاحف المملوكية الأخرى تتكون صفحاتها من أسطر مختلفة الألوان فقد تبدأ الصفحة بسطر كتب باللون الأزرق يليه سطر كتب بماء الذهب ثم يلى هذا سطر آخر كتب باللون الأحمر ، وتكرر العملية الثلاثية من الأسطر الى أن تنتهى الصفحة ، كما أن المماليك ادخلوا المقاسات المختلفة للخط فى الصفحة الواحدة ، فقد تبدأ الصفحة وتنتهى بخط كبير جدا ثم تكتب بقية اسطر الصفحة بالخط المعتاد فى كتابة المصاحف ، وقد ادخلوا الخط الكبير كذلك في ثلاثة مواقع من الصفحة القرآنية التى ادخل عليها هذا النوع من الخط المختلف المقاس والحجم .

لقد كتبت المصاحف بخطوط عديدة مختلفة كما أن احجام المصاحف المخطوطة تراوحت احجامها من

مصــاحف صغيرة مثمنــة الاضــلاع لا تتعـدى المليمترات الى مصــاحف كبيرة الحجم والخط وقد يزيد مقاسها عن المتر والربـــع فى الطول ، كــمــا ان بــعض المصــاحف كتبت على شكـل ورق طويل ملفوف مقاسه فى العرض 10 سنتميترات وفى الطول أكثر من 250 سنتيمترا ويلف هذا المصحف فى شكل دائرى ويحفظ فى اسطوانة من الفضة وقد استعمـل هذا النــوع مــن المـصـحـف الســلاطين العثمانيون والسلاطين المغول فى الهنـد وكـانـوا يحملونــه معهم فى جيـوبهم أو يعلقونه على الصدر .

وهناك العديد من المصاحف الجميلة النادرة موجودة فى البحرين لبيت القرآن وهذه المصاحف المخطوطة هى مجموعة نادرة قيمة وتعتبر من الثروات الاسلامية فهى تحتوى على صفحات من المصحف الكريم يرجع تاريخهـا الى القرن الأول الهجـرى كما ان هـذه المجموعـة تضم مصــاحف عديـدة يرجـع تاريخهـا الى الفترات الاسلامية المختلفة جمعت منذ فترة لتكون النــواة الأولى لمشروع بيت القرآن [1]



هـذا المخـطوط القـرآنى
استعملت فيه الزخرفة البدائيـة البسيطة والالوان النبـاتية والطينيـة والصفحة تبـين فاتحـة الكتاب وبداية سورة البقرة ، استعمل الخط المغربى الجميل فى كتابة القرآن كما ان هذا المصحف لم يجلد بالمعنى المعروف وانما حفظت الاوراق منفردة بين قطعتين من الورق المقوى (راجع المقال) وقد نسخ هذا القرآن فى المغرب حوالى القرن الحادى عشر الهجرى .

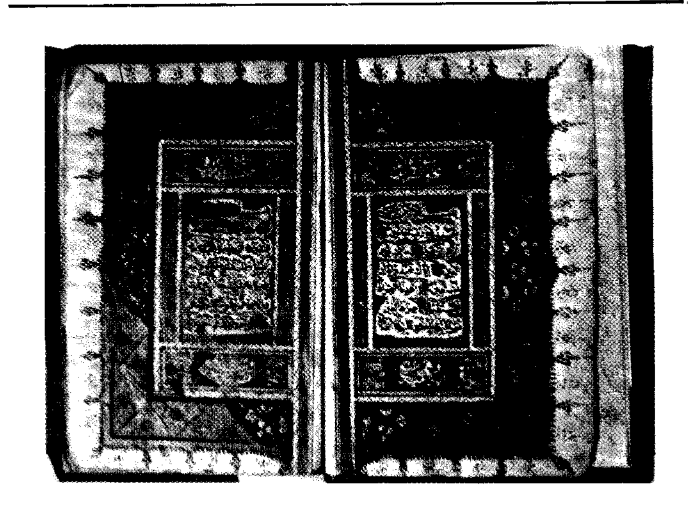
كيف كانت تكتب المصاحف :

تكتب المصاحف من أجل قراءتها وقد كـانت توضــع فى المســاجـد وقفـا عــلى المسلمين لأن المسجد كان القلب النابض

(1) بيت القرآن مشروع رائد بفكرته الحضارية المتقدمة فهو مركز للقرآن الكريم وقاعدة للبحث والدراسة يجمع بين الدين والحضارة والثقافة ويخدم المعرفة الانسانية ، مكون من خمسة عناصر هى : المسجد للصلاة والوعظ ، مكتبة اسلامية جامعة لأربعين ألف مجلد ، متحف يتكون من خمس قاعات للعرض مدرسة لتحفيظ القرآن الكـريم ، قاعـة للمحاضرات ستقام فيه معارض دورية للقرآن الكريم من متاحف العالم المختلفة وستكون الأولى من نوعها فى هذا التخصص الاسلامى وهو هدية العالم الاسلامى التذكارية للقرن الخـامس عشر الهجرى يشيـد فى موقـع متميز من دولة البحـرين قـريب من المنـطقـة الدبلوماسية .

للمجتمع المسلم وبتواجد القرآن فيه أصبح مصدر اشعاع ومدرسة علم ومختزنا دائما لتجديد طاقات الأمة الروحية ، فالعلاقة بين حياة المسلمين والمسجد علاقة متصلة لا ينفصل فيها دين عن دنيا ولا يختلف ايمان عن عمل وهنا كانت القوة الحقيقية فى صياغة النفوس وفى خلق المجتمعات وقد اهتم المسلمون بكتابة القرآن ويسروه ليكون على مقربة من الناس فى المسجد الجامع لأمور الدنيا والآخرة . وفى المسجد أيضا يوجد القرآن الرسمى الموثق الذى تنسخ عليه المصاحف الأخرى المتداولة والمستعملة فى تلك المنطقة أو الامارة الاسلامية .

ولقد تحدث أبو بكر عبدالله السجستانى المتوفى سنة 316 هجرية فى كتاب « المصاحف » عن أبى حكيمة العبدى قال : كنت أكتب المصاحف بالكوفة فيمر علينا على رضى الله عنه فيقوم فينظر فيعجبه خطنا ويقول ؛ « هكذا نوروا مانور الله » كما تحدث عن مالك بن دينار قال : « دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب مصحفا ، فقلت له كيف ترى صنعتى هذه ياأبا الشعثاء ؟ فقال نعم الصنعة صنعتك ، ماأحسن هذا ، تنقل كتاب الله من ورقة الى ورقة وآية الى آية وكلمة الى كلمة ، هذا الحلال



مصحف
صغير الحجم استعملت فيه الزخرفة الجمالية المذهبة فى تناسق رائع نسخ فى مصر فى القرن الحادى عشر الهجرى بخط النسخ الناعم .

لا بـأس به » وهنـاك حديث آخـر نقله السجستـانى فى باب أخـذ الأجرة عـلى كتابه المصاحف فقال : « حـدثنا عيسى بن حنيفة قال : كان مالك بن دينار يكتب المصاحف ولا يشارط ، يكتب المصحف فى بيته فاذا أتى بأجره أخذ مايعلم انه أجرته ويرد ما سوى ذلك »

ومن هذه الأحاديث الثلاثة التى رواها السجستـانى يمكن للمرء أن يستخلص خمسة أمور على النحو التالى :

ـ ان المصاحف كانت تكتب فى الكوفة فى خلافة الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ـ ان الخليفة على بن أبى طالب كان يعلم بـذلك ويشـارك فى التـوجيـه والتـدقيق والاستحسان .

ـ ان نسخ القرآن كان يتم بعناية فائقة دقيقة جدا « تنقل كتاب الله من ورقة الى ورقة وآية الى آية وكلمة الى كلمة » .

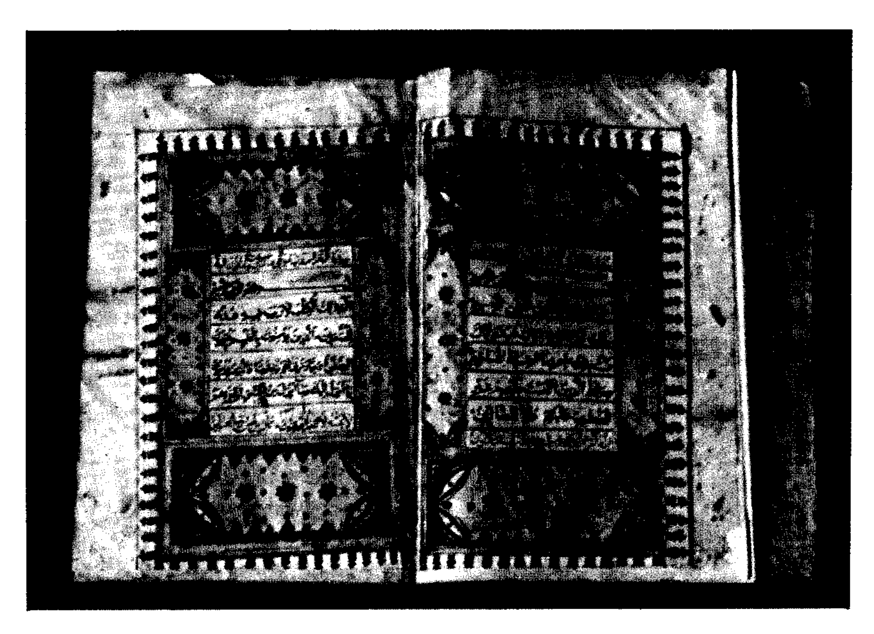
ـ ان نسخ المصاحف وكتابتها عمل طيب مستحب حلال « نعم الصنعة صنعتك ، ما أحسن هذا » .

ـ ان كـاتب القرآن لا يشـارط فى أجرة كتابه القرآن فما أعطى من شىء قبله .

وقد « روى عن على بن زيد العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه كان يقول كـانت المصاحف لا تباع انما يأتى الرجل بورقة عند المنبر فيقوم الرجل المحتسب فيكتب له من أول البـقـرة ثم يـجىء غـيـره حتـى يتـم المصحف[1] هذه الرواية عن كيف كـان يكتب المصحف تدل على الروح التعاونية الاسلامية وفى نفس الوقت تؤكد أهمية الدور الذى كان المسلمون يتسابقون فيه من أجل كتابة المصحف بدون أجر مادى وبـطريقـة سهلة ميسـرة تفيـد المسلم العادى وتنفعه .

واستمر الحال على نسخ المصاحف فى المسجـد نقلا عن المصـاحـف الرسميـة الموثقة ، وكان الشخص ينسخ القـرآن لنفسه من المصحف الموثق أو يستـأجر من ينـسخــه له الى ان كـثـر الكتـاب والنـاسخون ممـا ساعـد عـلى تـطويـر الدواوين المرتبطة بكل ما يتعلق بالقرآن الكـريم من نسـخ وتصحيـح وتحليـة وتذهيب وتجليد وتقـع هذه الدواوين فى العادة على مقربة من الجـامـع الرسمى للامارة أو المنطقة ، ومثال على ذلك فقد كانت منطقـة الجامـع الأموى بـدمشق مـركزا رئيسيـا لصناعـة كتابـة القرآن الكريم وكان الناس يستفدون نسخا من القرآن الكريم تكـون فى العادة منتهيـة وبارزة للاستفداء من هذه الدواوين التى تخصصت وتفننت فى صنـاعة وكتـابـة

(1) تتحدث المراجع العربية المختلفة عن وجود أكثر من ثمانية مصاحف تنسب الى الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، من هذه المصاحف ما هو موجود في طوب قبـو ، وفي الروضة الحيدرية وفي المشهد الحسيني ، وفي متحف طهران .



بداية قرآن مخطوط نسخ فى البحرين حوالى 1180 هجرية وقد ظهرت الزخرفة البدائية بالوانها النباتية الثلاثة : الاصفر والاحمر والازرق ، كما استعملت الاشكال الهندسية البسيطة ويلاحظ انه تركت فراغات كبيرة بدون زخرفة جمالية .

المصحف الكريم أو انهم قد يطلبون نوعا معينا من الخط والكتابة والزخرفة لمصحف يكون خاصا بهم حسب طلبهم ومواصفاتهم وعند ذلك فان هذه الدواوين تعد للطالب مايريده من النوعية والجودة والخط والزخرفة المطلوبة حسب مقدرته المادية والفترة الزمنية التى يمكن انتظارها للفراغ من كتابه المصحف المطلوب .

ولقد ظهر فن رفيع متخصص فى كتابة واخراج المصحف وتجليده بدأ فى العصر العباسى واستمر الى العهد العثمانى الى أن ظهرت المطابع والآلة فغيرت الوضع وبدأ هذا الفن يتقهقر رويدا الى أن اندثر اليوم أو كاد ، ويشترك فى اخراج المصحف الواحد مجموعة من الصناع الفنيين ذوى الخبرة والكفاءة والمقدرة ، الذين توارثوا هذا الفن أبا عن جد ، وتبدأ الخطوة الأولى باعداد الورق وترتيبه وصفه وادخال الأسطر عليه باستعمال خيوط ضعيفة ممدودة متساوية الأبعاد لتضبط المقاس بين السطر والآخر وذلك بدلا من استعمال السطر المحبر لضبط الكتابة ، ثم يبدأ الخطاط بكتابة القرآن بالخط المطلوب وبعد الانتهاء من الكتابة والتأكد من صحتها بعد المراجعة ،يبدأ الفنان بادخال الزخرفة الجمالية بأنواعها المختلفة بما فيها التذهيب والأشكال الهندسية وفواصل الآيات ومواقف

القراءة وعلامات الأجزاء والأحزاب ، وبداية السور ، ثم يجمع المصحف بعد أن يكتمل الخط والزخرفة ويحول الى التجليد حيث يتأكد من الجمع والتسلسل للآيات والصفحات وبعد ذلك تبدأ عملية التجليد التى هى فى الواقع فن رفيع وقد تستغرق عملية كتابة القرآن أكثر من سنة ويشتغل فيها مجموعة من الصناع المهرة ، ومع ذلك فهناك العديد من المصاحف كتبت وزخرفت وجلدت من قبل شخص واحد وفى فترة زمنية قياسية .

منذ ادخال فن التذهيب والزخرفة الجمالية فان الصفحتين الأولى والثانية كانتا دائما مركز الصدارة ، وأعطيتا الكثير من الوقت والفن لاخراجهما بأجمل ثوب ممكن وهما دائما أجمل ما فى المصحف من زخرفة وفن وجمال ، يأتى بعد ذلك بداية السور التى تكون فى العادة مستطيلا محلى بأشكال هندسية رائعة ويترك فراغ فى وسط هذا المستطيل ليكتب فيه اسم السورة بخط قد يكون مختلفا عن خط الكتابة المستعملة فى المصحف ، وفى حالات عديدة من المصاحف ترى آخر الصفحات محلاة ومذهبة ومزينة بالألوان والأشكال الهندسية كما ان هناك بعض المصاحف وخاصة الهندية والفارسية منها تدخل الزخرفة الجمالية على الصفحتين اللتين تحتويان على بداية سورة الاسراء ، كما ان بعض المصاحف تحتوى على صفحات زخرفية جمالية فى بداية القرآن . والربع الأول ، والنصف ، والربع الثالث ، وآخر المصحف ، كما ان الزخرفة الجمالية مرتبطة فى بعض المصاحف بالأجزاء الثلاثين فكل جزء من هذه الأجزاء محلى بأجمل أنواع الزخرفة فى حواشى الأجزاء الثلاثين .

والفنان المسلم أعطى كل ما لديه من فن رفيع لصناعة المصاحف وتطويرها ولهذا فان المتاحف ودور الكتب الاسلامية غنية بأجمل وأندر وأجود المصاحف التى تعبر عن روعة الفن الزخرفى فى أجمل حلله ، وقد بقيت هذه المصاحف قرونا عديدة بزخرفتها وجمالها ورونقها لم تتأثر بالزمن . وما حفظ فى المتاحف الأجنبية تحت السيطرة التامة للرطوبة والحرارة يشهد على ذلك الفن الزخرفى الرفيع .

المصاحف هدية المساجد :

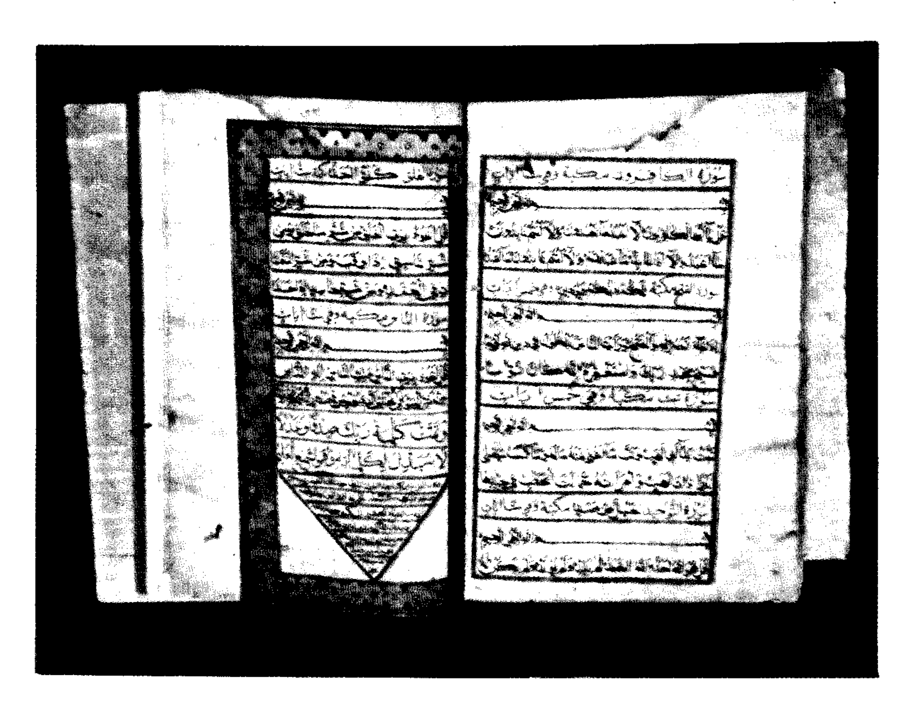
كان الخلفاء والسلاطين والعظماء يبنون المساجد تقربا الى الله عز وجل وكان المسجد هو الهدف الأسمى الذى يريد كل انسان مسلم أن يرتبط اسمه به ، واقتداء بالخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما أرسل المصاحف الى الأمصار لتوضع فى المساجد ليقرأ على الناس منها ولتكون المرجع الرسمى الموثق لجميع المصاحف فى تلك البلاد ، فقد سن الخليفة عثمان فى الاسلام سنة حسنة اتبعها المسلمون بعد ذلك وهى عندما ينتهى البناء من أى مسجد جديد يكتب لهذا المسجد مصحف خاص به موثق ومرتبط باحدى القراءات المعروفة ويوضع عند المحراب ويبقى وقفا على

المسجد يقرأ فيه يوميا ويكون المرجع الرسمى للمراجعة والنسخ منه .

وكما نبغ المعماريون المسلمون فى بناء المساجد فقد تفنن الخطاطون فى كتابة المصاحف للمساجد لتكون قمة فى الجمال والزخرفة والخط وقد كانت عملية كتابة هذه المصاحف تستغرق مدة تزيد على السنة ، كما ان هذه المصاحف تكون فى العادة من الحجم الكبير ، والواقع ان العديد من المصاحف الموجودة فى المتاحف فى أنحاء العالم كانت قد كتبت وقفا للمساجد ، وبالاضافة الى المصحف الرسمى الكبير فان هناك العديد من المصاحف التى تقدم وقفا لوجه الله فى يوم افتتاح المسجد وخاصة اذا كان المسجد مقاما من قبل السلطان أو الخليفة فان القواد والوزراء والأعيان يشاركون فى تقديم المصاحف الشريفة هدية للمسجد وتقربا الى الله عز وجل .

ولقد اشتهر المماليك فى مصر بتجويد المصاحف الخاصة بالمساجد التى شيدت فى عصرهم فقد كانت تصرف الأموال لهذا الغرض السامى وكان السلاطين يقربون كاتب القرآن ويعظمونه ويغدقون

آخر صفحة من مخطوط قرآنى نسخ فى البحرين على يد افقر العباد واحوجهم الى رب العباد الحقير المسكين جمعة بن عيد بن ردهان المالكى مذهبا فى شهر ذى الحجة سنة 1215 هجرية.



عليه النعم والعطاء وكان هذا هـو أكبر مشجـع وأعظم دافـع للانقطاع لكتـابة القرآن واخراجـه فى أحسن حلة وأجمل زخـرفة ممكنـة ولهـذا فـاننـا نجـد ان المصـاحف الملوكية كـانت دائمـا ذات رونق وجمال يفوق العديد من العصـور الاسلامية ، والمصـاحف الملوكية التى كتبت للمساجد أما أن تكون فى مصحف واحد كبير بخط النسخ الملوكى مقاسها يكون فى العادة حوالى 50x75 سم مكونة مما يزيد على350 صفحة أو أن تكون فى مجلدين بنفس المقاس المذكور كما انه قد يكتب المصحف من ثلاثين جزءا كل جزء مجلد على حدة ويبدأ كل جزء من القرآن بصفحـات مزخـرفة غـاية من الروعـة والجمال تتكون عناصرها من الزخرفـة الذهبية المرتبطة باللون الأبيض والأزرق والأحمر والأشكال الهندسية البديعة .

ولقد استمرت هذه السنة الحسنة فى تقـديم المصاحف الكـريمـة وقفـا عـلى المساجد ابتـداء من تاريـخ افتتاحهـا ، ولكن اختلف الوضع الى حد ما ، فبدلا من أن تكون المصاحف مخطوطة مزخرفة غاية من الجمال والروعة أصبحت هذه المصاحف التى تقدم وقفا على المساجد ، مصـاحف مطبـوعة ، عـادية الصنعـة والجودة ، خالية من الزخرفة والجمال ، وبخـط بسيط عـادى غير مجـود ، هذه المصاحف تكون فى العادة مستوردة الى منطقة الخليج من الهند مـع انه تـوجد أحدث المطابـع العربيـة فى دول مجلس التعـاون التى يمكن الاستفـادة منهـا لطباعة المصحف الكريم ، ولقد تميـزت هذه الفترة التاريخية فى منطقة الخليـج ببنـاء وتجديـد العديـد من بيـوت الله والمآذن ترتفـع فى كل عـاصمة ومـدينة خليجية ، فياحبذا ونحن نبنى المساجد الجديدة أن نقتدى بالسنة الحسنة التى سنها المسلمون الأوائل فنكتب مصحفا خاصا تذكاريا بكل مسجـد ليكون خـير شاهد على هذه النهضة الحضارية التى نمر بها وفى نفس الوقت نسجـل أصول الابـداع الفنى المـرتبـط بهـذه الفتـرة التاريخية .

مشاهير كتاب المصاحف

كتابة القرآن شرف عظيم لكل مسلم لا ينـاله الا من اعـطى الخـط الحسن الجميـل ، وقـد كتب القـرآن الكـريم العـظماء والسـلاطين والقادة والوزراء وكبار الشخصيات بالاضافة الى العلماء والحكمـاء والقضاة ورجـال الدين وقد شاركت المرأة كذلك فى كتابة القرآن عبر التاريخ الاسلامى ولها مخطوطات قرآنية معـروفة ، كمـا اشتهرت العـديد منهن بكتابة المصحف الشـريف ، ولم تقتصر كتـابة القـرآن على كبـار الشخصيـات والخـطاطين وانما كتب القـرآن من قبل جمـع كبـير من النـاس عـلى مختلف مستوياتهم العلمية والمعيشية وما اعظم الاجـر والثواب لكـاتب القـرآن الكـريم وقـدره عند الله عنـدما يكتب المصحف

لنفسه وينقله معه من مكان الى اخر عبر الصحـراء ماشيـا ، او راكبا البعـير فى تـرحاله ، وقـد رأينا العـديـد من هـذا النـوع ، من المصاحف مكتـوبا بـالخط المغـربى البدائى البسيـط ينتقـل عبـر الصحراء المغربية من نيجيريـا والنيجر ومـالى الى المغـرب العـربى بـأسـره وبالعكس .

تحدثنا كتب التاريخ ان الخليفة علي بن ابى طالب رضى الله عنه هو اول من كتب القـرآن الكريم فى مصحف واحـد مباشرة بعد وفاة النبى صـلى الله عليه وسلم فقد آلى على نفسه الا يرتدى برداء للصلاة حتى يجمع القـرآن فى مصحف واحد ، حتى جمعه ، وحمل ما جمعه على ظهر ناقته وجاء به الى الصحابة ، والامام علي بن ابى طالب رضى الله عنه من كتاب الوحى وكان يكتب العهود والمواثيق الى النبى صلى الله عليه وسلم وهـو الامام والقـائـد والمعلم فى الدين واداب اللغـة العربية وقواعدها وقد ادخـل التجويـد والتحسين على الخط المدنى الذى كـان يستعمله فى الكتـابة . ثم عـاصر الخـط الكوفي الذي ارتبط بالكوفة مقر خلافته .. وهناك العديد من المصاحف منتشرة في المتاحف والمكتبات الاسـلامية مكتـوبة بالخط الكوفي الجميل المـطور منسوبـة اليه .

الخليفة علي بن ابى طالب رضى الله عنه هو سيـد زمانـه فى العلوم الخطيـة واللغة العربية ولهذا فان كتابته للقرآن الكريم لابد وان تكون على احسن وجـه واجمل خط معروف ، ولابد انه رضى الله عنـه قد استعمـل الخط الكـوفي المجود والمطور المعروف فى زمـانه ولكن بـدون اعجام للاعراب او الحروف ، لقد كـان رضى الله عنه يمر بالكوفة بالذين يكتبون المصاحف فيوجههم ويوصيهم وقد روي السجستانى فى كتاب المصاحف فى رواية اخرى عن «عبدالله بن سليمان العبدي عن ابى حكيمـة قال : كـان عـلي عليـه السلام يمر علينـا ونحن بالكـوفة نكتب المصـاحف فيقوم فينـظر الينا ويعجبـه خطنا ، فقال (لي) : اجل قلمك (اى اجعله جليـا واضحا) ، فقـططت القلم فقال : «هكذا نوروا ما نور الله» .

ويتحـدث محمد طاهـر الكـردي عن كتابة المصاحف فيقول : «اشتهـر خالد بن الهياج بكتابة المصاحف وهو اول من اجاد كتابتها وكان منقطعا للكتابة للوليد بن عبدالملك يكتب له المصاحف واخبـار العرب واشعارهم وهو الذى كتب بالذهب على محراب مسجد النبى عليه الصـلاة والسلام فى المدينة المنورة سورة الشمس وضحاها وما بعدها من السور الى اخر القرآن الكريم واشتهر بعده باجادة كتابة المصـاحف مـالك بن دينـار من كبـار الزاهدين المتوفي سنة 131 هجرية لم تكن له حرفة يعيش بها غير كتابة المصاحف واشتهر بعده الرشيد البصري ومهـدي الكـوفى ، وفى زمن المعتصم ابـو حـدى الكوفي ، واشتهر بعدهم جماعة فى عصر ابن النـديم صـاحب كتـاب الفهـرست وشـراشـير المصـري ، وابـومحمـد

الاصفهانى وابوحديد وابوعقيل وابو الفرج ، وابن مجالد ، وابن ابى فاطمة ، وابن الحضرمي ، والمسحور ، وابن حسن المليح ، وابن ام شيبان . وفى اوائل الدولة العباسية اشتهر رجلان من اهل الشام بجودة الخط ، واليهما انتهت الرياسة فى ذلك العصر ، وهما الضحاك بن عجلان وكان فى خلافة السفاح واسحق بن حماد وكان فى خلافة المنصور والمهدى وفى عهدهما بلغ عدد الاقلام العربية اثنى عشر قلما كان لكل قلم عمل خاص» .

ابن مقلة

لقد كان العهد العباسى عهد النهضة والعلوم ولقد شاركت عدة شخصيات اسلامية فى تطوير الخط العربى والفنون المرتبطة بكتابة المصحف الشريف ، ومن ابرز هذه الشخصيات الاسلامية رجل ذو شخصية سياسية فذة ، شغوف بعلم الهندسة والخط وكان وزيرا لثلاثة من الخلفاء العباسيين هم : المقتدر بالله ، والقاهر بالله ، والراضى بالله ، هو الوزير أبو على محمد بن مقلة المتوفي سنة 328 هجرية لقد ابتكر بن مقلة طريقة جديدة لوضع القوانين والقواعد لرسم كل حرف من الهجاء العربى ، فقد ثبت الاسس الفنية للخطوط العربية وضبط مقاييسها بدقة واحكام وبشكل هندسى مدروس ومحسوب ، وذلك بأتخاذ النقطة لتكون وحدة للقياس لقد كان بن مقلة فنانا وخطاطا وشاعرا كتب المصاحف والعهود وقيل عنه «ان ابن مقلة نبي فى مجال الخط وقد الهم هذه الموهبة تماما كما الهم النحل ان يبنى خلاياه بشكل مسدس» .

أبو علي محمد بن مقلة من المجددين للخط العربى ، طور مدرسة فنية لعلوم الخط استمرت وانتشرت في المعمورة الاسلامية ، وعنه عرف الخط البديع المطور الذى كتبت المصاحف به ، وتروي كتب التاريخ ان هذه الشخصية الفذة قد حرمت من اعز ما لديها ، فقد قطعت يده اليمنى بأمر من الخليفة الراضي بالله ولكن هذا لم يمنعه عن الكتابة ويقال انه كتب بيده اليسرى وانه كذلك كان يشد القلم على ساعده الايمن ثم يكتب .

ومن الخطاطين المشهورين فى كتابة القرآن الكريم شخصية اسلامية بغدادية فذة طورت خطوط بن مقلة وادخلت الفن الرفيع الذي تميز بالتنسيق والدقة والاصالة على كتابة المصاحف ، هذه الشخصية هي : أبو الحسن علي بن هلال المتوفي سنة 391 هجرية والمعروف بأسم «ابن البواب» نسبة الى صنعة والده الذي كان بواب بيت القضاء في بغداد وشهرة ابن البواب الخالدة ترجع الى اكماله واتقانه لاسلوب الكتابة الذي بدأه بن مقلة قبل ذلك بقرن من الزمن .

ابن البواب فاق جميع سابقيه من كتبة المصاحف وادهش من تبعه من الكتاب والخطاطين ، حفظ القرآن وكتب اربعة وستين مصحفا لم يبق منها الا واحد موجود ومحفوظ في مكتبة جستر - بتي الشهيرة بمخطوطاتها القرآنية والموجودة فى جمهورية ايرلندا ،

وهـذا المخطوط القـرآني يعتبـر اجمـل مصحف متـواجد بـالكامـل كتب بخـط النسـخ واستعملت التحلية والزخـرفـة الجمـاليـة فيـه بـأسلوب متميـز دقيق متنـاسق اشتـمـل عـلى اللون الازرق والاحمـر بالاضـافـة الى مـاء الذهب [1] ولاهمية هذا القرآن الكريم فقـد طبعت نسخ محدودة منه بمناسبة السنة العالمية للكتـاب تحت رعايـة اليونسكـو وبنفس المقاس والمستوى والتجليـد في النسخة الاصلية للقرآن .

ومن المشاهير الذين تفننوا في كتابـة المـصـاحـف امـين الديـن يـاقـوت المستعصمى المتـوفي سنة 698هـجـريـة والذى كان خازنا لدار الكتب المستنصرية ببغداد ، وقد نقل الخط عن ابن البواب واشتهر بكتابة الخط بـأنواعـه المختلفة والمعروفة آنذاك واخصها خـط الثلث ، ويقال ان خطه قد بلغ اروع ما بلغه الخط العربي من جمال .

ويتحدث الاستاذ ناجح زين الدين عن المستعصمي بـالنسـبـة لكتـابـة المصـاحـف فيقـول : «وكتب الكثـير من المصـاحف وانتشر خطه في الافـاق وقد ذكـرتـه المصـادر بـأنـه احـد علمـاء المستنصـرية وذكـره صـاحب تـذكـرة الخطاطين فقال «ان اول من نقـل الخط الكوفي الى الطريقة العراقية ابن مقلة ، ثم جاء ابن البواب فـزاد في تعريب الخـط وابداعه ، ثم جاء ياقوت وختم في الخط واكمله ، ومـازال حتى يـومنـا يقـلده الخطاطون وينسجون على منواله ، ويقال انـه كتب الف مـصحـف ومصـحف ، وتشتمل خزائن الكتب في استانبول على مصاحف كثيرة كتبهـا ياقـوت بالنسـخ والثلث والمحـقق ، وقـلم المصـاحـف ، وزخرفت بزخارف مذهلة» .

وقد كتب القرآن الكـريم من الخلفاء والسلاطين ما يزيد على اكثر من اربعـة وعشـرين من العهد العبـاسي الى العهد العثماني ومن مجموعـة هؤلاء الخلفـاء والسلاطين شخصيات عديدة لم تشارك في كتـابة القـرآن وحسب وانمـا امتـد اهتمامها

لصناعة الخط والاجتهاد فيه ومن بين هؤلاء الخليفة العباسى الثامن والعشرون المستنصر بالله احمد بن عبدالله المقتدى المتـوفى في عام 512هـ وكـذلك الخليفـة العباسى الذى حكم من بعده وهو الخليفة المستـرشد بـالله المتوفى في عـام 529هـ وهناك العديد من السلاطين العثمـانيين ممن كتب القـرآن يـزيـد عـددهم عـلى الثمـانيـة ، اهمهم السلطان العثمـانى محمـد عبدالمجيد خـان الثـانى وهـو السـلطان الثـلاثـون مـن السـلاطين العثمـانية وكـان خطه في غـاية الحسن والجمـال يكتب بخط الثلث وتـوفى سنة 1258هـ وكان اول الكتاب للمصاحف من السـلاطين العثمانيـين السلطان مـراد الثـانى وهو السلطان السـادس المتوفى سنة 855هـ .

(1)ذكر المنجد في الاعلام (ص 147) ان لابن البواب قرآن في استنبول مكتـوب بيده بالخط الريحاني .

بدون اسم الكاتب

وهناك العديد من الخطاطين الذين من الله عليهم بكتابة المصحف الشريف وتراوحت عدد النسخ التى كتبوها من ثلاثة مصاحف الى الف مصحف ويقال ان السيد حسن بن على المعروف بأبن الخازن دون خمسمائة مصحف وان رمضان بن اسماعيل نسخ 400 مصحف ومحمد صلاح قيوم زاده خط مائة مصحف اما السيد حافظ ولى الدين فقد كتب 99 مصحفا ومن الاشخاص الذين كتبوا 25 مصحفا محمود كمال وناصر الدين متطيب أما الأشخاص الذين كتبوا مصحفا واحدا فان عددهم لا يحصى اذ أن مصاحفهم متفرقة فى الامصار الاسلامية ، وهناك ملاحظة لابد منها وهى ان معظم الخطاطين لا يذيلون المصحف بأسمائهم مما يشكل صعوبة لمعرفة اسم الخطاط والفترة التى كتب بها القرآن كما ان عددا كبيرا من المصاحف فقد الصفحات الاخيرة التى يدون فيها فى العادة اسم الخطاط .

بالاضافة الى الخطاطين فان المرأة كذلك كتبت المصحف ونسخته كما ان عددا كبيرا من النساء اشتهرن بالخط الجميل الحسن ، منهم حفصة ام المؤمنين رضى الله عنها وفاطمة البغدادية المتوفية فى عام 74هـ وكذلك السيدة بزم عالم والدة السلطان العثمانى عبدالمجيد خان اما النساء الذين كتبن المصاحف فمنهن درة هانم فقد كتبت مصحفا مؤرخا بتاريخ 1172هـ اما باد شاه خاتون فقد كتبت عدة مصاحف وكان ذلك فى حوالى عام 695هـ .

أدوات الكتابة

لقد تحدث القرآن الكريم فى اكثر من موضع عن أدوات الكتابة وذكرها بالاسم من هذه الايات الكريمات آيات تحدثت عن : القلم . الرق . القرطاس . المداد . السطور . الصحف . الكتاب .

القلم - « ن والقلم وما يسطرون » سورة القلم (1)

« اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم » سورة العلق (4) .

الرق - « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » سورة الطور (2)

القرطاس - « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » سورة الانعام (7) .

المداد - « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر » سورة الكهف (9) .

السطور - « كان ذلك فى الكتاب مسطورا » سورة الاسراء (58) سورة الاحزاب (6) .

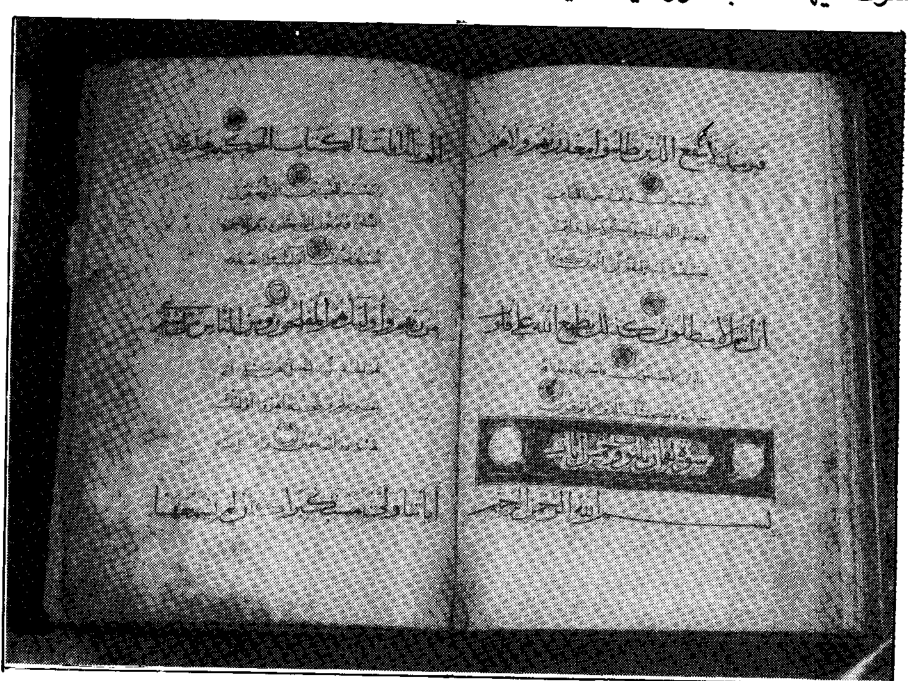
الصحف - « آيات عديدة احداها : « ان هذا لفى الصحف الاولى » سورة الاعلى (18)

الكتاب - « آيات عديدة احداها : « ام لكم فيه كتاب تدرسون » سورة القلم (37)

الورق - (بمعنى ورق الشجر) : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق

الجنة » سورة طه (121) . هذه الآيات القرآنية الكريمة تبين لنا ان هناك العديد من مواد الكتابة كانت معروفة فى صدر الاسلام وتحدث عنها القرآن الكريم ، واستمرت فى الاستعمال لفترات مختلفة من العصور الاسلامية ، ثم ادخل عليها التطوير والتجويد والتحسين لتصبح فيما بعد صناعة متكاملة وصلت أعلى درجة من الكمال فى العصر العباسى حيث انتشرت دواوين الكتابة والنسخ وسميت بدواوين الوراقين فى مختلف الرقعة الاسلامية ، ولعبت بغداد دار السلام وعاصمة الخلافة العباسية دورا نشطا مهما فى القرن الثالث الهجرى حيث انتشرت فيها مكاتب الوراقين الذين زاد عددهم على المائة ديوان كان يجتمع فيها بالاضافة الى اصحاب المهنة عدد من السفراء والعلماء والكتاب والمؤلفين والمترجمين ، ومع ذلك فأن ادوات الكتابة المستعملة فى هذه الدواوين لم تتغير تغيرا جذريا الا بعد استعمال الورق (ويسمى كذلك : الكاغد . القرطاس) كمادة أساسية لصناعة الكتابة بدلا من المواد المختلفة التى كانت تستعمل قبل ذلك ، وكذلك استعمال التذهيب والرونقة الجمالية بالاضافة الى التجليد المجود .

أنه من الطبيعى فى منطقة صحراوية منعزلة بعيدة عن التمدن والحضارة ان تجد مواد الكتابة نابعة من البيئة المحلية ومرتبطة بها الى حد كبير فاستعمال عظام



مصحف مملوكى كتب بخط الثلث والنسخ السطور الاول والاوسط والاخير بخط كبير وهى طريقة ابتكرها المماليك وظهرت فى مصاحفهم الهامة .. المصحف أوقف على احد مساجد القاهرة .

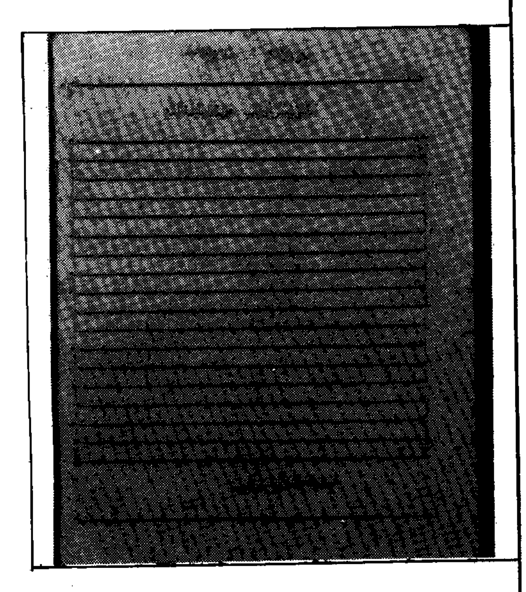
اكتاف الابل والحجارة الرقيقة وعشب النخل والرق شىء منطقى مسلم به لما له من ارتباط مباشر بالحياة الاعتيادية فى المدن الصحراوية ولتواجده كبقايا من استعمالات حياتية معيشية عادية ، فأكتاف الابل والعظام وجلود الحيوانات تبقى بعد ان تنحر وتؤكل لحومها ، كما ان الصفائح الحجرية وعشب النخل متواجده ومتوفرة فى مختلف المناطق .

ولقد استعمل فى كتابة القرآن الكريم على مر الزمان أدوات مختلفة من مواد الكتابة منها : الجلود (الرق . اللخاف . العشب . الاكتاف . البردى . الورق . القلم . الحبر (المداد) . الالوان . التذهيب .

الجلود (الرق ـ الأدم) .

استعملت الانواع المختلفة من جلود الانعام المدبوغة فى كتابة القرآن الى العهد العباسى فى القرن الثانى الهجرى حين ادخلت صناعة الورق من قبل الفضل بن يحيى البرمكى فى خلافة هارون الرشيد واستمرت الى وقتنا الحاضر ، وقد سميت الجلود المستعملة فى الكتابة ب« الاديم » أو « الرق » وجمعها رقوق ، وهى مصنوعة من جلود البقر والابل والغنم والحمر الوحشية والغزلان ، وتدبغ هذه الجلود وترقق لتصبح ناعمة رقيقة ملساء يمكن الكتابة عليها من الجهتين ، وقد اشتهر رق الغزال فى كتابة المصاحف ، كما استعمل كذلك الرق الابيض والاحمر والازرق ، ولكن الرق الابيض كان المفضل على الانواع الاخرى لبروز المداد الاسود عليه لتسهيل القراءة .

تطورت صناعة دبغ الجلود للكتابة بعد التجارب المختلفة لانتخاب احسنها وادقها سماكة واصلحها لونا وصلاحية لاستقبال الالوان والتذهيب البسيط الذى ادخل على الكتابة العربية بعد عهود الخلفاء الراشدين ، ولقد كانت صناعة الجلود للكتابة معروفة قبل ظهور الاسلام واستعملت فى تلك الفترة التاريخية فى شبه الجزيرة العربية والبلاد المجاورة ، ومما ساعد على شيوع استعمال الرق فى الكتابة متانتة وقوة تحمله بالاضافة الى تماسك الحبر واندماجه بالوجه المصقول من الرق ، وبقائه مدة طويلة من الزمن



صورة توضح طريقة رسم الخطوط حيث كانت تدق مسامير على مسافات متساوية من جانبى الورقة تشد فيها خيوط وبها يتم تحديد الاسطر

بدون تفاعل ضار ويقال ان الرق « سمى بهذا الاسم لجمعه بين الرقة والمتانة وطول البقاء » .

اللخاف

لقد ذكر الصحابى الجليل زيد بن ثابت اللخاف عندما تحدث عن جمع القرآن (الجمع الثانى) للخليفة ابى بكر الصديق رضى الله فقال « فتتبعت القرآن اجمعه من العشب واللخاف (وفى رواية اخرى) الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال « واللخاف هي الحجارة المسطحة الرقيقة البيضاء وتستعمل للكتابة بعد ان تعدل اطرافها وتمسح واجهتها لتقبل مادة الكتابة المستعملة وقد استعملت فى صدر الاسلام واستمرت الى العهد الاموى .

العشب

العشب هو اوراق السعف وجريد النخل الذى نزع خوصه واصلح ليكون مسطح الطرف ناعم الوجه وقد كتب القرآن الكريم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على مواد مختلفة من انتاج النخيل هى الجريد الذى نزع خوصه واصلح للكتابة ، والخوص الذى نسميه فى البحرين ب« السعف » ، والكرانيف الذى نسميه فى البحرين ب« الكرب » .

الاكتاف

وقد استعملت عظام اكتاف الابل والحيوانات الاليفة للكتابة وذلك لكبر حجمها ومساحتها المسطحة التى تصلح للكتابة والتى لا تحتاج كذلك الى عمل اضافى من التصنيع قبل الاستعمال وقد كتبت الآيات القرآنية الكريمة على عظام اكتاف الابل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

البردى

البردى هو نبات طويل متواجد فى المياه الآسنة ومستنقعات دلتا النيل ، يؤخذ لباب النبات ويشق الى شرائح رقيقة جدا تصف متحازية في الاتجاهين المعاكسين ثم تضغط وتطرق لينتج عنها اوراق ناعمة رقيقة تصنع حسب المقاس المطلوب ، وقد استعملت اوراق البردى للكتابة بعد عهد الخلفاء الراشدين واستمرت الى بداية العصر العباسى وانتشرت فى الشام وبغداد فى العصر الاموى وكانت تستعمل فى الغالب لكتابة الرسائل وتدوين مطالب الحياة التجارية والمدنية والمالية ولم تذكر المراجع التاريخية استعمال البردى لكتابة المصاحف كما اننى الى الآن لم أر اى مخطوط قرآنى كتب على البردى ويمكن القول ان البردى استعمل للكتابات المرتبطة بحياة الانسان المسلم اليومية وان كتابة القرآن الكريم دونت على الرق الى ان ظهرت صناعة الورق .

الورق (الكاغد)

لقد عرف العرب الورق عن طريق استيراده من الصين مع القوافل التى كانت تحمل الشاى والحرير والتوابل فى طريقها الى البحر الابيض المتوسط ، وقد بدأ استعمال الورق فى خلافة معاوية بن ابى سفيان فى اوائل القرن الاول الهجرى الا انه لم ينتشر الا فى خلافة

هارون الرشيد بعد ان ادخله الفضل بن يحيى البرمكى وذلك بعد ان تمكن العرب من انشاء اول مصنع للورق بسمرقند فى حوالى عام 177هـ(793)م ويقال انه لما تولى « الرشيد الخلافة امر ألا يكتب الا فى الكاغد (الورق) لان الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محى منه فسد » .

وهناك انواع عديدة من الورق بدأت تظهر بعد ان ازدهرت صناعة الورق فى المدن العربية والاسلامية فالاضافة الى سمرقند فقد انشئت المصانع فى بغداد والشام وحماة ومصر وعرفت منها الانواع التالية : الورق البغدادى . والورق الحموى . الورق الشامى . الورق المصرى . الورق المغربى . وكان الورق البغدادى ورقا ثمينا فيه ليونة ورقة ، ويستعمل فى الغالب فى كتابة المصاحف الكريمة .

وقد ادخلت بعض المواد على الورق بعد انتاجه للحصول على اللون والنعومة المطلوبة ، ومن هذه المواد استعمال ماء الحنة النقى للحصول على لون مائل الى الاحمرار ، وصفار البيض مع الصمغ العربى للحصول على اوراق صغيرة اللون ناعمة الوجه ، اما اللون الابيض فيمكن انتاجه باضافة مسحوق ابيض اللون مع الصمغ بنسبة ٣٠٪ ، ويمكن كذلك تشميع الورق عن طريق .

دحرجة الشمعة على الورقة عدة مرات .

لقد نقل العرب الورق الى اوربا عبر حضارتهم عن طريق اسبانيا المسلمة فقد انشىء أول مصنع للورق في طليطلة بالاندلس حوالى عام 545هـ 1150))وكذلك انشئت مصانع في كل من مدينة شاطبه ومدينة بلنسيه ، وقبل انشاء هذه المصانع كانت اوربا تستورد الورق الشامي الى ان دخلت صناعة الورق الى ايطاليا وفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي عبر مدن الاندلس العربية .

القلم

لقد كتب العرب باقلام مختلفة منها : السعف ، لب الجريد الاخضر ، القاب ، العاج ، القصب الفارسي ، القصب العادى المعتني بزراعته ، كما استعملت الريشة المصنوعة من المعادن منذ فترة لا تزيد عن 150 سنة ومن اهم ادوات الخطاط : قلم القصب ، الذي استعمل منذ فجر الاسلام واستمر كذلك الى وقتنا الحاضر ، وكان حسن الحظ ووضوحه يرجع الى مقدرة الخطاط على الكتابة وعلى نوعية القلم المستعمل واهم صلة في قلم القصب هى ريشة القلم وكيف بريت هذه الريشة لتكون ذات سماكة معينة مسطحة الوجه بزاوية مناسبة وذات شق في الوسط لتسمح بانتقال الحبر من القلم الى الورقة بقوة اندفاع محدودة معينة وحتى يتسنى للخط ان يكون متناسقا بتوزيع الحبر على اطرافه المختلفة .

وقد تحدث الخطاطون في مختلف العصور عن نوعية القلم المستعمل في

الكتابة العربية وقد جمعت بعض هذه الاقوال الاستاذة سهيلة ياسين الجبوري منها : ما روي عن ابن الزيات : « خير الاقلام ما استحكم نضجه وخف برزه وبلغ استره واستوي » كما تحدث الوزير بن مقلة عن بري الاقلام فقال : « ملاك الخط حسن البرايه ، ومن أحسنها سهل عليه الخط ، ومن وعى قلبه كثرة اجناس قط الاقلام كان مقتدرا على الخط » كما قال ابن مقلة لاخيه اذا قططت القلم فلا تقطه الا على مقط أملس صلب غير مثلم ولا خشن لآلا يتشطن القلم ، واستحد السكين حدا ولتكن ماضية جدا ، فانها اذا كانت كاله جاء الخط رديئا مضطربا » .

ويتحدث القلقشندي عن العلاقة بين القلم والصحيفة فيقول : « واما حاله (اي القلم) في الصلابة والرخاوة فانه تابع للصحيفة ، لانها اذا كانت لينة احتاجت ان يكون في الانبوب لين ، وفي لحمه فضل وفي قشره صلابة ، واذا كانت صلبة احتاجت ان يكون في الانبوب يبس وصلابة » ثم يتابع حديثه مفسرا الاسباب فيقول : « ذلك ان حاجته (اي القلم) من المداد في الصحيفة الرخوة اكثر من حاجته اليه في الصحيفة الصلبة ، فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ، ويكون في الصحيفة الصلبة ما وصل اليها من القلم الصلب الخالى من المداد كافيا » .

وهناك العديد من القصائد وأبيات الشعر التى نظمت في الخط وادواته ، قالها الشعراء والادباء والخطاطون ومن بين هذه القصائد قصيدة للخطاط البغدادي الشهير بابن البواب ومن بين أبيات هذه القصيدة ثلاثة ابيات تتحدث عن برية القلم :

انظر الى طرفيه واجعل بريه
من جانب التدقيق والتحفير
واجعل لحلفته قواما عادلا
يخلو عن التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقي بريه
من جانبيه مشاكل التقدير

الحبر (المداد)

يقال ان الحبر المستعمل في الكتابة القديمة كان مصدره الصين وكان يأتي الى شبه الجزيرة العربية عبر القوافل القادمة من الشرق ، ثم تمكن العرب من صناعته من الدخان او من العفص والزاج والصمغ وقد استعمل حبر الدخان للكتابة على الورق ولكنه كما يقال لا يصلح للاستعمال على الورق ولهذا فقد استعمل الحبر الصيني في كتابة الرقوق ، وقد سمى العرب الحبر « مدادا » لانه يمد القلم ويعينه على الكتابة ، وقد وصف ابن البواب في قصيدته مشتقات الحبر فقال :

والق دواتك بالدخان مدبرا
بالخل او بالحصرم المعصور
واضف اليه مغرة قد صولت
مع اصفر الزرنيخ والكافور
حتى اذا ما خمرت فاعمد الى
الورق النقي الناعم المخبور

لقد تفنن الخطاطون في صناعة الحبر وتمكنوا في العصر العباسي من انتاج

انواع مختلفة من المداد تناسب المخطوطات والورق المستعمل ، فقد صنعوا المداد من الدخان المتراكم والذى نسميه في البحرين بـ « السنون » الذي ينتج عن تجمع الدخان ليكون مادة الكربون التى تجمع ويضاف اليها مادة الصمغ وتصفى ثم يكتب بها لتصبح الكتابة شديدة السواد ، وهناك نوع اخر من المداد يسمى حبر الرز وهو ذو لون قهوائى غامق يصنع من مادة الرز المقلية والمطحونة والمضاف اليها مادة الصمغ ثم تخمر في الشمس وتستعمل بعد ذلك للكتابة ، وقد استعمل كذلك البصل والزيتون والحديد لانتاج انواع مختلفة من المداد المستعمل في كتابة المخطوطات ، وعند كتابة المصاحف فان السائل المستعمل في خلط الحبر يكون في العادة من احس انواع ماء الورد ليعطي الرائحة الزكية الطيبة .

ويتحدث ابن مقله عن الحبر فيقول « اجود المداد ما اتخذ من سخام النفط وبعد ان ينخل ويصفى يصب عليه الماء ويضاف اليه شيء من العسل ومن الملح وصمغا ومقدارا من العفص ثم يوضع فوق نار غير حاره حتى يسخن فيصير في هيئة الطين وربما وضع فيه الكافور لتطيب رائحته والصبر لمنع وقوع الذباب عليه » .

الالــــوان

لقد استعملت الالوان العديدة الزاهية الجميلة في تحلية وزخرفة القرآن الكريم ، ولقد كانت بعض هذه الالوان بسيطة التركيب والمظهر وبعضها الآخر معقد التركيب كما ان قسما منها جاء من الاحجار الكريمة النادرة في صور مساحيق ، لهذا فقد يبقي لمعانها مستجدا لا يتأثر بالزمن والوقت لأصالتها وجودتها ، ولقد استعمل التلوين بجميع الوانه المكونة لقوس القزح في تحلية المصاحف عبر التاريخ الا ان هناك بعض الالوان التى ارتبطت بعهود وفترات تاريخية ، فاللون الازرق واللون الاحمر استعملا منذ القرن الاول واستمر الحال على ذلك ، وان اجمل المصاحف الملوكية النفيسة ارتبطت باللون الازرق وبالزخرفة الذهبية الرائعة ، ولقد استعمل اللون الازرق باشكاله المختلفة الغامق منه والفاتح ومشتقاتهما ، كما استعملت تشكيلة الالوان الاخرى مع اللون الازرق بجدارة فائقة وبكميات بسيطة محدودة لتغطية الفراغات الصغيرة الناتجة عن الاشكال الهندسية المتداخلة ، ومن الالوان الاخرى التى استعملت في زخرفة المصاحف اللون الاحمر والاصفر والعسلي والبني والابيض الا ان استعمال اللون الاخضر كان محدودا جدا وكذلك اللون الاسود .

ولقد اخذت معظم هذه الالوان من اربعة مصادر رئيسية ، فهناك الالوان النباتية المختلفة كالحنة والقهوة والرز ، والالوان المأخوذة من الورود والزهور كالزعفران ، ما الالوان الثابتة التى لا تتغير ولا تتأثر بعامل الزمن فهي التى

تصنع من الاحجار النفيسة والكريمة على شكل مسحوق يخلط بمواد اخرى منها الصمغ وماء الورد لتعطي الالوان الدقيقة المطلوبة واحجار الفيروز النفيسة ذات اللون الازرق والاخضر خير مثال على هذا النوع من الالوان الزاهية الطبيعية .

ومن الالوان الاعتيادية التى استعملت في العديد من المصاحف البسيطة الصنعة والتجويد ، الالوان الطبيعية المأخوذة من الطين الارضي ذات الالوان المختلفة ، تنخل هذه الاتربة الملونة وتصفى وتسحق لتصبح كالكحل ، مسحوقا صغير الجزيئات يخلط بالماء والصمغ ثم تستعمل هذه المواد السهلة البسيطة في تحلية وتزيين صفحات المصاحف بطريقة اولية بدائية في بلدان شمال افريقيا بالاضافة الى موريتانيا ومالي والنيجر والسودان .

التذهيب

كانت التحلية الجمالية المكونة من الزخارف الذهبية عنصرا مهما في كتابة المصاحف واستعملت بحرية وطلاقة في الاشكال الهندسية وفي كتابة الخط نفسه ، وقد استعملت طريقتان لهذا النوع من التحلية اما تركيب الاوراق الذهبية الرقيقة الناعمة او استعمال ماء الذهب للزخرفة والكتابة .

وهناك نوعان من استعمال التذهيب في المصاحف وهما التذهيب المطفى والتذهيب اللماع ، وتتم عملية التذهيب بلصق الاوراق الذهبية الرقيقة الناعمة في المكان المطلوب تحليته ثم توضع ورقة نظيفة فوق الزخرفة الذهبية وتدلك بقطعة من المحار ترفع بعدها الورقة لتعطي الزخرفة الجمالية باستعمال طريقة التذهيب المطفي . اما اذا اريد للزخرفة ان تكون لامعة فان هذا يتم بصقل وتلميع الزخرفة الذهبية بمسطرة عاجيه بعد ان تدلك بالمحار كما هو الحال في الطريقة المتبعة للتذهيب المطفي .

بالاضافة الى استعمال الاوراق الذهبية الرقيقة جدا للتحلية الجمالية فقد استعمل كذلك ماء الذهب في كتابة الخط والزخرفة في القرآن الكريم ، وصناعة ماء الذهب تتم في العادة بتحليل ورق الذهب الرقيق جدا بخلطه مع عصير الليمون النقي ثم يضاف اليه الماء ويخلط من جديد ثم يترك لفترة من الزمن الى ان تترسب ذرات الذهب في القاع ويزال الماء الزائد ثم يضاف الى المحلول قليل من الزعفران وقليل من ماء الصمغ بعد ذلك ، يستعمل هذا المحلول الذهبي للكتابة ، ويمكن ان تدخل اللمعة على الاوراق المحلاة باستعمال المسطرة العاجية للصقل واللمعان وذلك عن طريق تدليك الصفحات المزخرفة .

كيف كانت الكتابة العربية في البحرين

من المؤكد ان المصاحف كانت تكتب في الامصار الاسلامية على اختلاف رقعتها ، وان البحرين عرفت كتابة المصاحف عند ظهور الاسلام وانه لابد ان العديد من المصاحف الشريفة قد نسخت ووثقت عن المصحف الذي ارسله

الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه الى منطقة البحرين وان العديد من المصاحف المكتوبة على الرق قد تواجدت في هذه الجزر الطيبة وخاصة وان مسجد الخميس كان من المعالم الاثرية القديمة في صدر الاسلام وقد جدد في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، ولابد ان هذه المصاحف كانت متواجدة في هذا المسجد الشامخ لتكون على مقربة من الناس للدرس والقراءة والتبصر .

ان جزر البحرين كانت في طليعة المناطق العربية التى استعملت الخط العربي المطور والمعروف في القرن الثالث والرابع الهجري في احسن وجه من الاتقان والجودة ، ومع ان المواد التى وصلتنا عن الكتابة العربية كنتيجة للتنقيب والحفريات محدودة جدا بالنسبة لما كتب منها على الرق او الورق ، الا ان ماوصلنا من كتابة حجرية يؤكد اصالة الخطاط البحريني واتقانه للكتابة المعروفة آنذاك ، ومتحف البحرين الوطني يحتوى على العديد من نماذج الخطوط العربية المختلفة التى حفرت على الصخر بما فيها خط النسخ وخط الثلث ، وان دلت هذه الكتابة العربية على شيء فانما تدل على المستوى الرفيع الذي وصل اليه الخط العربي في البحرين وكذلك تدل على كفاءة ومقدرة الصانع البحريني الذي تمكن وتابع الاصول الفنية للخطوط العربية التى كانت معروفة في العراق آنذاك .

من هذا المنطلق فانه يمكننا ان نتوقع انه كان في البحرين عدد من الخطاطين الذين برعوا في الكتابة وعاشوا في هذه المنطقة الآهلة ، كما ان العديد من العلماء والرحالة والكتاب والناسخين مروا بهذه الجزر في طريقهم البحري من والى عاصمة الخلافة العباسية دار السلام ، ولهذا فانه ليس بالغريب ولا بالمستغرب ان نرى المدارس الاسلامية المختلفة كان لها صدى حقيقيا في البحرين والحفريات المرتبطة بالفترة الاسلامية لابد وان تظهر لنا الكثير عن تاريخ البحرين الاسلامي وبالاخص الخطوط العربية التى استعملت في تسجيل الوقائع والارتباطات والواقع ان الحضارة الاسلامية لهذه المنطقة من بغداد الى عمان مرتبطة ببعضها البعض ، ولهذا فان ما عرف من تقدم وازدهار للعلوم والكتابة في مقر الخلافة لابد وان يكون له انعكاس وصدى اصيل في هذه المنطقة الساحلية الخليجية الذي تشكل جزر البحرين فيها نقطة الوسط والارتكاز والاصالة .

اقدم المصاحف الخليجية المتواجدة

هناك العديد من المصاحف المخطوطة التى نسخت في الخليج متواجدة الان في المتاحف والمكتبات الخليجية وعند الاسر الا ان اقدم هذه المصاحف لا يتعدى الـ 350 سنة اما معظم هذه المصاحف فقد كتب في اواخر القرن الثاني عشر الهجري اي في حدود 1180هجرية تقريبا او بعد ذلك ، ويوجد في البحرين

اكثر من 20 مصحفا كتبت في المنطقة الخليجية واكثر الظن انها كتبت في البحرين ومن بين هذه المصاحف هناك 5 مصاحف في متحف البحرين الوطني و 5 مصاحف في مجموعة بيت القرآن وهناك تقدير اولي على انه يوجد لدى العوائل البحرينية ما يزيد عن 10مصاحف نسخت في البحرين في حوالي سنة 1180هـ / 1290

العديد من المصاحف التى كتبت في الخليج لم تؤرخ كما ان العديد منها كذلك لم يسجل اسم كاتبه في آخر صفحة من المصحف او مكان الكتابة (اسم المدينة او القرية) وهذه عادة معروفة ومتبعة في المنطقة والسبب في ذلك ان الناسخ او الخطاط وخاصة كتاب المصاحف في البحرين كانوا يكتبون هذه المصاحف توجها وتقربا الى الله عز وجل ، ومن هذا المنطلق كانوا يفضلون الا تكتب اسماؤهم لان الهدية وقف على المسجد ، والله اعلم بكل شيء يفعله الانسان ، ومع ذلك فانه بالامكان التعرف على تاريخ المصحف عن طريق المقارنة والتدقيق في نوعية الخط ونوعية الورق والتجليد ، واستعمال الحبر والالوان المتواجدة في اوائل السور القرآنية وبعض العلامات الاخرى المميزة .

اما بالنسبة لمعرفة مكان النسخ فان هناك بعض الدلائل التى يمكن الاستفادة منها وخاصة اذا عرف التاريخ واسم الخطاط ، ومع ان اسماء العوائل مرتبط في المنطقة بأسرها ، فالعائلة الواحدة قد يكون لها فرع في الكويت والبحرين والسعودية مثلا ، او ان الشخص كاتب المصحف سكن في الاحساء وفي البحرين وفي الكويت او انه قد سكن البحرين والقطيف والنجف ، خلال مراحل متعددة من حياته الا انه من الممكن التعرف على مكان الكتابة اذا وجد اسم ناسخ القرآن وتاريخه وذلك عن طريق اقارب الشخص بالسؤال عن المكان الذي كان فيه في فترة التاريخ المذكورة .

كتاب المصاحف التي نسخت في البحرين

ومن الكتاب البحرينيين الذين كتبوا المصاحف عدة اسماء منهم :

- احمد بن راشد بن جمعة بن خميس بن هلال المريخي .

وقد ختم المصحف الذي نسخه بالعبارات التالية : « كتب القرآن في اليوم السادس من شهر شعبان في سنة 1231 بقلم الفقير الى الله تعالى احمد بن راشد بن جمعة بن خميس بن هلال المريخي المالكي مذهبا » .

- جمعة بن عيد بن ردهان

وقد ختم المصحف الذي نسخه بالعبارات التالية : « وكان الفراغ من كتابة هذا القرآن الشريف بعون الملك اللطيف في يوم سابع من شهر ذي الحجة سنة 1215 على يد افقر العباد واحوجهم الى رب العباد الحقير المسكين جمعة بن عيد بن ردهان المالكي مذهبا والقادري طريقه ، غفر الله له ولوالديه ولاخوانه ولمحبيه ولجميع المسلمين والمسلمات

والمؤمنين والمؤمنات .. آمين » .

- عبدالكريم بن عبدالوهاب

وقد ختم القرآن الذي نسخه بالعبارات التالية : « قد تم الكتابة بيد اقل العباد عبدالكريم بن عبدالوهاب » .

- محمود بن حاج محمد

وقد ختم القرآن الذي نسخه بالعبارات التالية : « قد فرغ من تحرير هذا كلام الله حميد مجيد في صبح يوم الثلاثاء اثنى وعشرين من شهر رجب الحرام سنة الف ومائتين وستين من هجرته النبوية صلى الله عليه وسلم بقلم الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير محمود بن حاج محمد غفر الله له » .

- حسن بن علي آل عصفور

وقد ختم المصحف الذي نسخه بالعبارات التالية : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم بقلم فقير ربه الغفور حسن بن علي آل عصفور » .

نوعية المصاحف الخليجية

المصاحف التى كتبت في الخليج منذ حوالى اقل من 350سنة كانت في غالبيتها بسيطة الصنعة والخط ، محدودة الزخرفة والتحلية بخط اسود قوى مركز وعلى ورق خشن اصفر متين من صناعة ايران او الهند ، معظم هذه المصاحف يزيد حجمه عن 320 X 220 ملليمترا كما تزيد اسطرها عن الاثنى عشر سطرا واستعمل الحبر الاحمر لتسجيل اسماء السور والاجزاء ومواقف الآيات وعلامات المصحف التوضيحية وحفظت الكتابة في اطار عادى مسطر بالحبر الاحمر .

وقد كتبت الآيات القرآنية في المصاحف الخليجية بعناية تامة ولكن ببساطة وبخط جميل واضح مشابة لخط النسخ كما استعملت بعض الاشكال الهندسية البسيطة والازهار العادية وكذلك بعض هذه المصاحف قد خلت بالكامل من اي نوع من الزخرفة الجمالية كما ان البعض الاخر من المصاحف قد اشتمل على زخرفة جمالية محدودة بالوان نباتية بدائية الشكل والمظهر وقد استعمل الجلد العادي وكذلك القماش المتين الصنع لتجليد هذه المصاحف التى خلت من التذهيب والرونقة الفنية ، اما الالوان المستعملة في المصاحف التى وجدت فيها الزخرفة البسيطة فهى اللون الاحمر والاحمر الغامق والاصفر والازرق ، كما استعملت في هذه المصاحف الاشكال الهندسية البسيطة والازهار العادية المكررة .

اما مواد الكتابة التى استعملت في كتابة المصاحف الخليجية فهى شبيهة بما استعمل في الاقطار العربية الاخرى ومنها قلم القصب المستورد من الهند او ايران وفي الفترة الاخيرة استعملت الريشات المعدنية المستوردة من الهند وكانت تسمى في البحرين بـ « البريه » اما بالنسبة لمداد الكتابة فبالاضافة الى استعمال الحبر الهندي الاسود او الصيني المستوردين يقال انه قد استعمل الحبر المستخرج من الختاك (خذاق) وهو سمك حيواني لازج

متواجد في السواحل البحرينية ، والمعروف عن هذا النوع من السمك انه يخزن مادة سوداء قاتمة يبثها في محيطه البحري عندما يهاجم من اجل التعتيم والهرب ، اما الالوان الذي ادخلت على زخرفة المصاحف فهي نباتية طينية مستوردة من اسواق الهند وايران .

اين كانت تكتب المصاحف الخليجية

هناك العديد من المدن الخليجية التى اشتهرت بالعلم والكتابة والنسخ خلال العصور الاسلامية المختلفة ومن اهم هذه المدن كانت الهفوف والعجير ، كما كانت القطيف ودارين وكذلك كانت جزر البحرين ونزوى ومسقط وبعد القرن الثامن عشر الميلادي ازدادت المدن العربية الخليجية لتشمل الكويت ودبي والدوحة والرويس والزباره ، وقد كتبت ونسخت المصاحف في هذه المدن العربية الى فترة متأخرة حوالى 1915 عندما بدأت تصل المنطقة الخليجية نسخ من القرآن الكريم طبعت في الهند باستعمال الطباعة الحجرية .

اما في البحرين فقد كانت هناك العديد من المجالس التى يجتمع فيها اهل العلم والمعرفة وهي مكان للكتابة والتدوين والنسخ ارتبطت بمناطق البحرين الآهلة بالسكان فقد كانت المحرق عاصمة البحرين الرسمية (حتى عام 1923)من اهم مراكز النسخ والتدوين ومجالسة العلماء ، كما عرفت مناطق اخرى من البحرين منها الحد والمنامة ، وجد حفص وبلاد القديم والشاخورة والزلاق وسترة ومسجد الخميس .

كلمة تقدير لابد من تسجيلها مع هذا المقال ، فان جميع الصور (ما عدا صورتان من متحف البحرين الوطنى) مصورة من مخطوطات قرآنية كريمة نادرة من مجموعة الدكتور عبداللطيف جاسم كانو وقد قدمها هدية تذكارية لتكون النواة الاولى لمشروع بيت القرآن الذى سيشيد فى البحرين .
(الوثيقة)